ممدوح الشيخ

ماكسميليان روبسبير

الثورة الفرنسية والدين والعلمانية والدم

صدقة العلم

ماكسميليان روبسبير
الثورة الفرنسية والدين والعلمانية والدم

ممدوح الشيخ

الكتاب: ماكسميليان روبسبير
الثورة الفرنسية والدين والعلمانية والدم
المؤلف: ممدوح الشيخ
الناشر: المؤلف
الطبعة الأولى: 2026.

هذا الكتاب قراءة في: "كيف أدت عداوة روبسبير تجاه الدين التقليدي إلى الإرهاب"، أطروحة للباحث نوراي باماني، مقدمة إلى كلية التاريخ، جامعة ليبرتي، أمريكا، استكمالًا جزئيًا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه، أجيزت في أكتوبر 2024.

الفصل الأول:
أول ثورة حديثة

ظهر ماكسميليان روبسبير في المرحلة الأكثر جذرية من الثورة، التي بدأت عام 1792 واستمرت حتى عام 1794. ووضع روبسبير الإيمان بالثورة كأولوية على كل شيء، وبرر الإيمان بعبادة: "الكائن الأسمى" كجزء من "الثورة الفرنسية" الجديدة. وفي مجال التأريخ، ينقسم المؤرخون بين معارضين لروبسبير ومفتونين به. وقد كان روبسبير متطرفًا، سعى إلى فرض نظام واحد من المعتقدات على الشعب في ثورة تستند إلى دين حديث جديد يبرر ارتكاب تجاوزات ضد أي شخص يشتبه في عدم التزامه برؤية روبسبير الثورية.

سعيًا لتحديث المجتمع الفرنسي، سعى روبسبير إلى صرف الناس عن المسيحية عبر تقديم نظام عقائدي جديد قائم على "الكائن الأسمى". واستثار ذلك رد فعل من جانب كل من المحافظين الذين شعروا بالغربة بسبب الدين الجديد. وهكذا، لجأ روبسبير إلى أساليب الترهيب للتعامل مع خصومه، لكن روبسبير ومعارضيه العلمانيين اتفقوا على أن المسيحية لا يمكن أن تعود إلى المكانة التي كانت عليها

قبل الثورة، وإلا فإن الغرض من الثورة نفسها سيكون بلا معنى. وبقيت مكانة الدين في المجتمع الفرنسي.

كانت هذه المسألة إشكالية في عهد روبسبير وبعد وفاته، وهو نفسه قال:

"...دع المستبد يحكم رعاياه المضطهدين بالترهيب؛ إنه – كمستبد – محق في فعل ذلك".

"أخضعوا أعداء الحرية بالإرهاب، وستكونون على حق، بصفتكم مؤسسي الجمهورية".

كان هدف روبسبير من عبادة "الكائن الأسمى" إحلالها محل الكاثوليكية والتخلص مما أسماه: "خرافات" الكاثوليكية، وكل من عارض العبادة الجديدة، وبالتالي كان لا بد من القضاء على كل من يعارض الجمهورية. برر روبسبير كل عمل من أعمال العنف دفاعًا عن الجمهورية. وكان يعتبر رجال الدين الأعداء الأساسيين للجمهورية.

كان العديد من المؤرخين الذين دافعوا عن جمهورية روبسبير مدفوعين للدفاع عنه وليس للتشكيك في دوافع دينه الجديد. قدم المؤرخون ذوو الميول الاشتراكية روبسبير بصورة إيجابية وبرروا الفظائع التي ارتكبها مع أتباعه باسم الجمهورية، وهم لم ينكروا التجاوزات التي ارتكبها، لكنهم زعموا أن ثورة دون تجاوزات ليست ثورة. إن وصف شخصية روبسبير بأنها "غير قابلة للفساد" (كما وصفها أتباعه) يشوه صورة هذه الشخصية، التي ضحت بالعديد من الأشخاص، بمن فيهم أصدقاؤه، من أجل ما زعم الاشتراكيون أنه تلبية لاحتياجات الثورة.

إن وجهة نظر متوازنة لا تقدم روبسبير كبطل، حيث هلك كثير من الناس في ظل نظامه، وهو في الحقيقة أنه كان أول ثوري يحظر الأديان التقليدية، وبخاصة المسيحية، لأسباب أيديولوجية. وما يزال بإمكان المرء الحصول على معلومات عن روبسبير من المذكرات التي كُتبت قبل عهد الإرهاب وأثناءه وبعده. وقد أوضح الأب أوغسطين بارويل في كتابه: "المذكرات التي توضح تاريخ اليعقوبية" (1798) كيف استفز اليعاقبة عامة الناس للتمرد على النظام القديم.

ومن المؤرخين الآخرين من الجيل نفسه مدام دي ستال التي أشارت (1818)، إلى أن الجمهورية كانت في خطر في ظل حكم روبسبير. وقد قالت عنه:

"اتسم تعصبه السياسي بطابع من الهدوء والتقشف، ما جعل كل زملائه يكرهونه".

أراد روبسبير وغيره من الثوار معه إقامة نظام جديد للتخلص من الملكية الإلهية والكاثوليكية المرتبطة بالنظام القديم.

ثورة تتحدى الدين:

كانت "الثورة الفرنسية" عام 1789 أول ثورة حديثة تتحدى الدين وتروج للعلمانية أولًا في فرنسا، ثم في أوروبا، ثم في العالم أجمع. وليس بالإمكان فصل هذا الشعور غير الديني عن الحروب السياسية الدينية في أوروبا التي بدأت مع

ظهور الإصلاح البروتستانتي([1]) واستمرت حتى القرن 18. رغم موافقة القادة الأوروبيين على الانقسامات الدينية الناتجة في دولهم، كما هو الحال مع إنجلترا البروتستانتية وفرنسا الكاثوليكية، إلا أن الأقليات الدينية ظلت مضطهدة.

وبسبب هذه الحروب الدموية التي اندلعت بسبب الدين واضطهاد الأقليات، بدأ مسيحيون عديدون يتساءلون: "ما إذا كان حتميًا أن تكون الحرب والاضطهاد سمة من سمات الدين". ولا شك، كما أكد مؤرخون آخرون، في أن إلغاء مرسوم نانت([2]) في فرنسا أدى إلى زيادة العداء لرجال الدين. بفضل هذه الانتقادات المبكرة لمعاداة رجال

([1]) الإصلاح البروتستانتي، يشير مصطلح الإصلاح البروتستانتي (1517-1648م) إلى الاضطرابات الدينية، والثقافية، والاجتماعية، التي انتشرت في أوروبا في القرن 16، وكسرت سيطرة الكنيسة في العصور الوسطى، ما سمح بتطور التفسيرات الشخصية للرسالة المسيحية، وأدى إلى تطور الدول القومية الحديثة. عُدّ الإصلاح البروتستانتي واحد من أهم الأحداث في التاريخ الغربي. لا يوجد إجماع عالمي على تواريخ الإصلاح. يحدد بعض العلماء تاريخ الحدث بين 1400م و1750م (من انشقاق يان هوس إلى نهاية المجتمع ما قبل الصناعي)، في حين يقترح آخرون التاريخ بين 1517م-1685م (من انشقاق مارتن لوثر إلى إلغاء مرسوم نانت)، وهناك العديد من الادعاءات الأخرى بشأن التواريخ التي لها الأهمية نفسها، ومع ذلك، فإن التواريخ بين 1517م-1648م هي الأكثر قبولًا على نطاق واسع، حيث تحدد بداية الإصلاح الديني بانشقاق مارتن لوثر ونهايته بصلحُ وستفاليا الذي أنهي حرب الـ 30 عامًا التي بدأت كنزاع بين الكاثوليك والبروتستانت. وأحدث الإصلاح البروتستانتي تغييرًا جذريًا في المشهد الثقافي والديني والاجتماعي والسياسي في أوروبا، وغالبًا يشار إليه على أنه مولد العصر الحديث، حيث تزامن مع عصر النهضة في القرنين 15 و16، بل شجعها.

([2]) مرسوم نانت – بحسب موقع مجمع اللغة العربية المصري – فإن الإصلاح البروتستانتي مرسوم أصدره هنري الرابع ملك فرنسا (1589 - 1610) لإنهاء النزاع المسلح بين الكاثوليك والهيجونوت، ليضمن للأخيرين حقوقًا مدنية وحماية قانونية أسوة بالكاثوليك.

الدين، بدأت معاداة رجال الدين العلمانية في الانتشار بمساعدة الماسونيين ومنظمات المفكرين الأحرار في أوروبا. وبحسب وولفرام كايزر،

"كان هناك بالتالي تقارب وثيق بين الماسونية الأوروبية وعصر التنوير الراديكالي في القرن 18. الماسونية ساهمت في انتشار الإلحاد والمشاعر المعادية للدين التي رافقت "الثورة الفرنسية". وهكذا أشار فلاسفة عصر التنوير إلى حروب الدين في القرنين 16 و17 باعتبارها "ذروة البربرية المسيحية"".

لقد أرادوا إظهار الطبيعة الدينية لتلك الحروب من أجل مهاجمة تعصب الكنائس والحكومات القائمة. أراد الفلاسفة رفع مستوى وعي القارئ بشأن حرب الثلاثين عامًا([3]) وإلغاء مرسوم نانت كدليل على الطبيعة المنحطة للبنية الكنسية الهرمية. وانتشرت معاداة رجال الدين بين الفلاسفة والموسوعيين، وبدأ الأديب الفرنسي فولتير([4])

([3]) حرب الـ 30 عامًا، دارت رحاها بين الكاثوليك البروتستانت بين 1618 و1648 في كافة أرجاء أوروبا، قضى 12 مليون أوروبي نحبهم فيها، وانخفض عدد سكان ألمانيا بنسبة 30% في المتوسط، وفي بعض المناطق مات ما يقدّر بثلثي السكان، كما انخفض عدد سكان الأراضي التشيكية بمقدار الثلث. ولد الصراع من التفكك السياسي للإمبراطورية الرومانية المقدسة التي تعود إلى قرون، وبالنسبة للكثير من المؤرخين كان الصراع في البداية عبارة عن طائفية صغيرة تحولت في النهاية إلى حمام دم دولي شاركت فيه ما يقارب 20 دولة أوروبية، وضعت الحرب أوزارها في النهاية بأن بسط البروتستانت سيطرتهم كاتبين بذلك صفحة جديدة من تاريخ أوروبا التي ستمضي نحو سياسات أكثر تحررية، ليس فقط على المستوى الديني، بل السياسي أيضا، الأمر الذي شكّل وجه أوروبا الحديث.

([4]) فرانسوا ماري آروويه (1694-1778)، واسمه المستعار "فولتير" أكثر شهرة من اسمه الحقيقي. كاتب وناشط اجتماعي فرنسي. قام بدور مرموق

هجومه على رجال الدين والدين الموحى به؛ وروّج الفيلسوف الفرنسي كلود أدريان هيلفيتيوس للإلحاد؛ وروّج روسو لـ "المسيحية الجديدة".

وفي هذا السياق، برز العديد من الثوريين، وضمن ذلك تبني روبسبير مناهضة رجال الدين بسبب السمعة السيئة للكنيسة في الماضي والتي استمرت في عصره. وزعم أ. س. كورس أن أواخر القرنين 17 و18 أدت إلى نقاشات روجت لـ "الفكر الإلحادي" وفي النهاية إلى تبني "الفلسفة الإلحادية". ووفقًا لكورز، فقدت الحركات اللاهوتية والدينية مصداقيتها، ما أدى إلى "ثغرة استغلتها أشكال العقلانية والطبيعية والشك الديني". وأقر إس جيه بارنيت بوجود أدلة كافية لإظهار كيف أن

بارز في تحديد قسمات ما يعرف بالحركة التنويرية في القرن 18، وأدى دورًا منقطع النظير في إقامة معالم الطريق الذي أدى إلى محطة التنوير. دافع بحماسة عن العلوم الطبيعية التي كان من رأيه أنها ترياق لسم التأملات التجريدية الفلسفية التي لا تجدي. حاز فولتير دراسة عالية في كلية لويس العظيم، وكانت كلية راقية في باريس، يشرف عليها اليسوعيون. ألقى عصا ترحاله في أنجلترا وبقي فيها بين 1726 و1729. وخلال أيام فولتير في إنجلترا زار هولندا، وأقام علاقة بالصحفيين وملاك زمام النشر. في 1751 أخرج عمله الأكثر تأثيرًا: "تاريخ جميع شعوب العالم"، فأصبح يعرف بالحبر الذي يرعاه القصر ويتبناه. وشغل منصبه في معهد برلين حنيما اتصل فولتير ببلاط فريدريك العظيم في برلين، وبعده اختار جنيف محط رحاله، ثم اشترى قصرًا في منطقة فرنسية نائية عن صخب المدن، واستقر في سكناه حتى وفاته، وكان مقرًا للتنوير الفرنسي. من كتابات فولتير المهة كتابه: "القاموس الفلسفي"، وكان فولتير مع فلسفته التنويرية التي تجسدت فيه وتمثلت، هو الموجه للفلسفة الغربية فيما بعد.

(د. شانك ج. ب، بروفيسور تاريخ العلم والطب في جامعة مينسوتا، متخصص في كتابات فولتير، موسوعة ستانفورد للفلسفة، ترجمة: مشرف بك أشرف).

"مسيحيين عديدين حول منتصف القرن أصيبوا بخيبة أمل بسبب الانقسامات داخل المسيحية واستخدامها السياسي".

وقبل قرن ونصف فقط من عصر التنوير، بدأ الأوروبيون في التعبير عن مشاعر معادية لرجال الدين. عارض البروتستانت والكاثوليك السلطة الدينية لبعضهم البعض. بدأ نشر آلاف المنشورات المناهضة لرجال الدين في القرن 18، واتسم عصر التنوير الفرنسي بالعداء للدين الذي كان أكثر وضوحًا في فرنسا منه في أي مكان آخر في أوروبا. وقد أشار بيتر ماكفي إلى الضربة القاضية التي وجهها روبسبير للمسيحية من خلال إدخال طائفة جديدة، هي طائفة "الكائن الأسمى"، التي لم تعد تؤمن بإله الكتاب المقدس:

"بدلًا من الإله القاسي للدين الكاثوليكي، ستكون هذه عبادة شعبية لها شهداؤها وقيمها الخاصة التي تعكس ميلاد عصر جديد، عصر المساواة".

كانت العقيدة الجديدة في فرنسا هي الربوبية([5])، وهي نتاج عصر التنوير الأوروبي، الذي رفع العقل فوق الإيمان

([5]) الربوبية، (بحسب الموسوعة البريطانية) موقف ديني غير تقليدي، تجلى لدى مجموعة كتاب إنجليز، بدءًا من إدوارد هربرت في النصف الأول من القرن 17، وانتهاءً بهنري سانت جون، في منتصف القرن 18. وقد ألهم هؤلاء الكتاب لاحقًا موقفًا دينيًا مشابهًا في أوروبا خلال النصف الثاني من القرن 18، وفي الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر القرن 18 وأوائل القرن 19. وبشكل عام، تشير الربوبية إلى ما يمكن تسميته بالدين الطبيعي، أي قبول مجموعة معارف دينية فطرية في كل إنسان أو معارف يمكن اكتسابها بالعقل، ورفض المعارف الدينية المكتسبة عن طريق الوحي أو تعاليم أية كنيسة.

و"دمر الكثير من العقائد الدينية للعصور المظلمة". بحسب جوزيف واليغور، كان الثوار الفرنسيون الربوبيون يعتقدون بوجود الله، لكنهم رفضوا المسيحية والأديان السماوية الأخرى. كانوا يعتقدون أن المسيحية دين زائف لأنها بسبب طقوس خرافية وعقائد غير عقلانية.

أدت معادة المسيحية إلى ظهور حركة نزع المسيحية، التي كانت أحد الأسباب الرئيسة لعهد الإرهاب، بسبب القطيعة بين الكنيسة الكاثوليكية والثورة التي بدأت عام 1791. حتى قبل مجيء روبسبير، كان القادة الثوريون يعتقدون أن الكاثوليكية تروج لانعدام المساواة والعبودية على عكس فضائل الجمهورية المتمثلة في الحرية والإخاء. هاجموا الكاثوليكية باعتبارها طائفة خرافية تتعارض مع أهداف الثورة القائمة على العقل.

لقد بات من الواضح أن هدف الثوار كان إزالة نفوذ الكنيسة على المجتمع، وبخاصة في المسائل الاجتماعية المتعلقة بالزواج والطلاق والتعليم. في عام 1791، جرد الدستور النظام الملكي من سماته الدينية. لم يكن روبسبير معارضًا لأيٍّ من هذه الإجراءات المناهضة للدين لأنه كان يؤمن بالثورة والجمهورية. كان روبسبير مفتونًا بأفكار عصر التنوير المتعلقة بالدين الطبيعي والعقل، على عكس ما اعتبره هو وفلاسفة التنوير الآخرون الطبيعة الخرافية للأديان السماوية.

طَوَّر روبسبير نسخته الخاصة من عصر التنوير. ورغم أن روبسبير لم ينكر وجود الله، إلا أنه جعله عاجزًا، وشكّله كما يحلو له، وفي المقابل أظهر تفوق الإنسان والعقل بقوله:

"إن الفنون والعلوم هي المنحة السماوية الأثمن للبشر". إن العلوم نتاج العقل، وأنه لم تكن هناك معجزة من السماء لأنها خالية "من إله منتقم".

كان "الكائن الأسمى" يشبه المفهوم المسيحي لله، لكن دون طقوس. لقد رأى أن التطرف الذي اتسمت به حركة نزع المسيحية قد أدى إلى نفور جيران فرنسا ودفع الناس إلى الانضمام إلى المنظمات المعادية للثورة. وفي المهرجانات العامة الجديدة، ومهرجان "الكائن الأسمى"، سعى روبسبير إلى ترسيخ فكرة "فضيلة" الثورة في نفوس الشعب. رغم سقوط روبسبير، أصبح فصل الدين عن السياسة حقيقة راسخة، وساهمت سياسات روبسبير في تحقيق ذلك، ولا تزال آثارها محسوسة حتى اليوم.

سعى روبسبير إلى الترويج لفهم جديد للدين أصبح أكثر أيديولوجية ويستند إلى عبادة "الكائن الأسمى". أراد أن يستبدل ما اعتبره مسيحية عفا عليها الزمن، وارتبط رجال دينها بالنظام الأرستقراطي الفاسد، بدين حديث يضفي القداسة على الثورة وقيادتها: "لجنة السلامة العامة" باعتبارهم الأنبياء الجدد.

في خطابه الأول خلال "مهرجان الكائن الأسمى" عام 1794، أشار روبسبير إلى أن الإله الوحيد الجدير بالعبادة هو "الكائن الأسمى"، وأن دينه الدين الحق الوحيد. ولن يتم قبول أي دين آخر في فرنسا الجديدة التي أسسها. وقال:

"أيها الفرنسيون الجمهوريون، الأمر متروك لكم لتطهير الأرض التي لوثوها واستعادة العدالة التي نفوها. انبثقت الحرية والفضيلة معًا من صدر

الألوهية، ولا يمكن لأحدهما أن يبقى بين البشر دون الآخر. أيها الفضلاء، هل تريدون الانتصار على أعدائكم؟ مارسوا العدل واجعلوا الإله وحده جديرًا به. أيها الناس، فلنُسلم أنفسنا اليوم، تحت رعايته، إلى نشوة السعادة الخالصة. غدًا سنحارب الرذائل والطغاة من جديد، وسنقدم للعالم مثالًا للفضائل الجمهورية. وبذلك نكرمها مرة أخرى".

الزعيم البروتستانتي الفرنسي، إدموند بريسانس، في أوائل القرن 19، وصف عهد الإرهاب بأنه كان ضروريًا و"علامة على لطف العناية الإلهية". وكان روبسبير يعتقد أنه مقدر له أن يصلح أخطاء البشر لأن إلهه كان إلى جانبه.

في تبجيل "الكائن الأسمى" في مهرجان 7 مايو عام 1794، أهان روبسبير منافسيه، الجيروندبين([6]) والدانتونيين([7]). وبإمكان المرء أن يرى تعصبه في مدحه

([6]) في 2 يونيو 1793 تجمّع عشرات الآلاف من أهالي باريس الغاضبين أمام مبنى "المؤتمر الوطني" الفرنسي للمطالبة باعتقال النواب الجيروندبين. وظهرت تسمية الجيروندبين نسبة لإقليم الجيروند، الذي انحدر منه عدد هام من نواب هذا الشق السياسي. وأثناء السنوات الأولى للثورة، لعب الجيروندبون دورًا هامًا في تحقيق مطالب الشعب الفرنسي، فساهموا في إرساء الجمهورية وصوتوا على قرار إعدام لويس السادس عشر، وطالبوا بخوض غمار حرب ضد القوى الأوروبية التي هددت باريس. لكن أواخر العام 1792، ظهرت الخلافات السياسية بين النواب الجيروندبين وحلفائهم السابقين الجبليين، الملقبين كذلك بسبب حيازتهم على المقاعد العليا بمبنى "المؤتمر الوطني".

([7]) جورج جاك (دانتون) احد أقطاب "الثورة الفرنسية" وقادتها وخطيب اشتهر ببلاغته، ولد في أكتوبر 1759، واعدم بالمقصلة في أبريل 1794. أصبح دانتون رمزًا للثورة التي تأكل ابناءها، وأثار خيال كثير من الشعراء والأدباء الأوروبيين. عمل محاميًا وشغل منصب وزير العدل، اشتهر بحماسته وتأثيره غير

لروسو باعتباره مؤسس الدين المدني في مقابل المسيحية، وكذلك في رفضه "للملحدين الأرستقراطيين في الموسوعة". في هذا الخطاب، سعى روبسبير إلى أن يصبح ديكتاتورًا، وأن يُرسّخ "عن طريق التشريع دينًا جديدًا للدولة، دينًا مجردًا، يتألف من عدد قليل من العقائد المحددة بدقة، والذي يُفترض أن يعتنقه رسميًا من قبل..." أراد روبسبير أن يصدر "المؤتمر الوطني" مرسومًا يتم بموجبه فرض عبادة الكائن الأسمى من خلال مهرجان عام كبير.

في خطابه، دعا روبسبير الدولة إلى "الاعتراف بفكرة الله، ليس لأنها حقيقة، ولكن لأنها وسيلة فعالة في حكم الشعب". كان يرغب في كسب المزيد من الأنصار بين الناس، وبخاصة المتدينين منهم. وكان يريد إحلال دين وطني محل المسيحية، وفي خطابه، أهان التعصب، أي المسيحية.

عدالة بلا ضمانات:

بموجب مرسوم 12 يونيو (24 بريريال)، أُلغيت جميع الإجراءات القانونية في محاكمات المتهمين أمام المحكمة الثورية. وبدلًا من الاعتماد على الأدلة في المحاكمة، كان مجرد الاشتباه في المتهم يؤدي إلى عقوبات قاسية وحكم الإعدام. في هذه الفترة تحديدًا، كان يُنظر إلى الكهنة، سواء كانوا من أعضاء هيئة المحلفين أو من غير أعضاء هيئة المحلفين، كـ "مشتبه بهم"، وقد أُلقي العديد منهم في

المحدود على سامعيه، وبعد نجاح الثورة اتهم بالتخاطب مع هيئات أجنبية معادية وبالخيانة العظمى، وأعدمه رفيقه في الثورة روبسبيير.

السجن وأُعدموا بالمقصلة. أُعدم مسيحيون عديدون بتهمة نشر البدع في الدين. وقد حرص روبسبير على قتلهم قبل أن يفسدوا المجتمع ويضللوه عن طريق "الدين الحق"، أي عبادة "الكائن الأسمى".

كان روبسبير مفتونًا، على وجه الخصوص، بجان جاك روسو وتفسيره للدين الطبيعي، الذي يعتمد على العقل وحده وليس على الوحي. في كتابه: "إعلان إيمان قس سافويارد" (1762)، انتقد روسو "الدين المنظم" من خلال شخصيته الخيالية، قس سافويارد، وبإمكان المرء أن يرى شكل دين روسو من خلال شخصية القس: إن "الدين الطبيعي"، باعتباره الدين المتاح عالميًا لكل فرد من خلال مشاهدة روعة الطبيعة وسماع الصوت الإلهي في داخله، يجب أن يكون كافيًا وحده... أرى أن تلك العقائد المحددة، بدلًا من توضيح مفاهيم الكائن الأسمى ... تجعل الإنسان متكبرًا، متعصبًا، وقاسيًا. بحسب روبسبير، كان أي شخص يحمل معتقدات مسيحية تقليدية موضع شك، ووصفهم بأنهم "متعصبون".

وأشار إلى أن الإيمان بعبادة "الكائن الأسمى" هو "ضربة قاضية للتعصب". وصف المعتقدات الدينية التقليدية بأنها "أوهام" ستختفي أمام "الحقيقة" بينما ستسقط "الأفكار الحمقاء" أمام "العقل". زعم روبسبير أيضًا أنه لا داعي لاضطهاد الأشخاص الذين يتمسكون بالمعتقدات القديمة، لأن جميع الطوائف ستندمج في "الدين". (الدين العالمي للطبيعة). في الواقع، حدث اضطهاد واسع النطاق للأشخاص الذين يحملون معتقدات

مختلفة. على حد تعبير أورين غراي، "رفض دين روبسبير الجديد المظاهر الكاثوليكية السابقة للأمة وكرّس العقل البشري باعتباره مقدسًا". لكن روبسبير سيستخدم العقل لتأسيس ما تصوره كفضيلة عامة. قال روبسبير: "ولا نخشى أن ترى السماء هذه الخطوة على أنها محاولة جريئة لتحدي غضبها، ولنسلبها القدرة على معاقبة جرائمنا". وهكذا سعى إلى إنشاء دين جديد لا يوجد فيه تعارض بين الطبيعة والقوانين العقلانية للعلم.

ونتيجة ذلك، فُرِض دين عقلاني جديد، ألغي جميع أشكال العبادة المسيحية وفرض الاحتفالات المدنية، مصحوبة بالرقصات في الكاتدرائيات. استمرت فترة عهد الإرهاب هذه، التي بدأت عام 1793، 3 سنوات ونصف بحسب المؤرخين القدامى، أو بضعة أشهر بحسب المعاصرين.

.....

من الضروري النظر في التأريخ المتعلق بروبسبير، لربط كيفية سعيه لاختراع دين جديد، الأمر الذي خلق صراعًا داخل فرنسا وعجّل عهد الإرهاب. ومنذ وفاة روبسبير، أشاد مؤرخون، وبخاصة الاشتراكيين، بروبسبير باعتباره شخصية بطولية، لكنها مأساوية. مع ذلك، يتفق غالبية المؤرخين على أنه "كان رجل الرعب"، المسؤول عن الكثير من إراقة الدماء التي بدأت في السنة الثانية (ابتداءً من سبتمبر 1793) عندما أصدر "المؤتمر الوطني" قوانين مكنت الثوار من "حكم أولئك الذين لا يمكن حكمهم بالعدل بالحديد".

الدفاع عن إرهاب روبسبير:

المدافعون عن روبسبير حاولوا تصويره كبطل للثورة الأولى ضد الملكية المطلقة. وزعم هؤلاء المدافعون أن روبسبير أُلقي عليه اللوم بالخطأ في عهد الإرهاب، الذي لم يتم تنظيمه تحت قيادة رجل واحد لكنه كان جزءًا من طبيعة الثورة نفسها التي كان عليها أن ترتكب تجاوزات، وإلا فلن تكون ثورة على الإطلاق. وقد أقرّ كلٌّ من ميشيل بيارد وماريسا لينتون بصحة الادعاء القائل بأن

"الإرهاب كان ببساطة نتيجة منطقية للظروف، تم ابتكاره لدرء تهديدات العنف العسكري والإبادة المحتملة للثوار والثورة نفسها، على يد القوى الأجنبية والمعارضين من النخبة الاجتماعية القديمة..."

لم يكن ذلك كافيًا لتفسير تجاوزات القتل والصراع الداخلي بين القادة الثوريين أنفسهم. بإمكان المرء أن يرى مبكرًا كيف شكّل الخوف والشك شخصية روبسبير التي ستدفعه لاحقًا إلى ارتكاب جرائم ضد أشخاص كان يشتبه فقط في أنهم لا يتبعون مبادئ الثورة.

مع بداية الثورة الفرنسية عام 1789، كان روبسبير حذرًا من رجال الدين، في الطبقة الثانية. في 17 يونيو 1789، شكلت الطبقة الثالثة، المؤلفة من عامة الشعب، "الجمعية الوطنية" رسميًا. زعمت الجمعية أنها تمثل جميع الفرنسيين ودعت الطبقتين الأولى والثانية للانضمام إليها، ولم ينضم معظم رجال الدين والنبلاء.

أثار رفض رجال الدين الانضمام إلى "الجمعية الوطنية" غضب روبسبير أكثر من أي شيء آخر، لأنه كان مدينًا بتعليمه لرجال الدين، وبالتالي، شعر بالخيانة بسبب رفضهم. عندما اتهم بعض رجال الدين الطبقة الثالثة بالسماح بموت الشعب الفرنسي جوعًا، غضب روبسبير وألقى خطابه الأول في "مجلس طبقات الأمة" مخاطبًا رجال الدين قائلًا:

"اذهبوا وأخبروا زملاءكم أنه إذا كانوا متلهفين لمساعدة الفقراء المعذبين، فمن الأفضل لهم أن يأتوا إلى هنا وينضموا إلى أصدقاء الشعب... تخلوا عن ذلك الترف الذي يحيط بكم وذلك البهاء الذي يجعل الفقر يخجل".

عندما رفض العديد من رجال الدين الانضمام إلى "الجمعية الوطنية" واتهموها بالعمل ضد مصلحة فرنسا، استشاط روبسبير غضبًا واتهم الكنيسة بتضليل الشعب. ولأنه رأى أن من الصعب التأثير في رجال الدين وأن إصلاحهم سيكون صعبًا، فقد قرر مهاجمتهم. لقد وقع ضحية جنون العظمة والقدرية، وفي إحدى كتيباته: "كشف أعداء الشعب" ذكر خوفه من "الأعداء الداخليين".

ازدادت شكوكه تجاه المشتبه بهم، وأظهرت كيف كان يشتبه في رجال الدين بالتحريض على الفتنة: لقد شوهد الإنجليز والبروسيون ينتشرون في مدننا وأريافنا، معلنين عقائد لا معنى لها باسم "المؤتمر الوطني"؛ وشوهد قساوسة غير مرخصين على رأس تجمعات تحريضية، كان الدين دافعها أو ذريعتها. لقد قُتل بالفعل وطنيون دفعهم

الحقد والتعصب إلى القيام بأعمال طائشة؛ وقد سالت الدماء بالفعل في عدة مناطق.

آمن المؤرخون الليبراليون في ثلاثينيات وأربعينيات القرن 19 بأفكار الجمهورية والديمقراطية، لكنهم رأوا في روبسبير ديكتاتورًا متطرفًا أنهى فترة الديمقراطية عندما تولى السلطة عام 1793. كان الصحفي والمؤرخ الفرنسي فرانسوا أوغست ماري مينييه ينتمي إلى التقاليد الليبرالية وكان يعتقد أن ثورة 1789 كانت ثورة برجوازية، ناضلت ضد أوجه عدم المساواة في النظام القديم.

لقد نظر إلى الثورة بطريقة حتمية تاريخية، مقدرة من قبل العناية الإلهية، "التي لم تكن مهتمة بتقدم المسيحية، بل بتقدم الحرية". ووفقًا له، كانت الثورة جزءًا من تاريخ تقدمي حتمي كان من المحتم أن يحرر البشرية.

<u>البابا المتعطش للدماء:</u>

في كتابه: "تاريخ الثورة الفرنسية، من 1789 إلى 1814" (1873)، ألقى مينييه اللوم على روبسبير لكونه انتهازيًا "لعب دورًا رهيبًا في ثورتنا". بحسب مينييه، اجتذب روبسبير الناس بوطنيته وكان يتمتع بسمعة طيبة لكونه غير فاسد. كانت طائفة متعصبة، يعود أصلها إلى القرن 18 تدعم روبسبير. أيدت هذه الطائفة فكرة روبسبير بشأن السيادة المطلقة للعقد الاجتماعي لجان جاكو روسو، وآمنت بالربوبية.

في 1793، فرض الدستور "العقد الاجتماعي" وعبادة "الكائن الأسمى". وجاءت معارضة أخرى لروبسبير من

المؤرخين المثاليين الرومانسيين مثل الكاتب والمؤرخ الاسكتلندي توماس كارلايل، والمحافظ هيبوليت، والقومي جول ميشيليه، والمؤرخ الفرنسي إدغار كينيه. وصف كارلايل "لجنة السلامة العامة" التابعة لروبسبير في كتابه: "الثورة الفرنسية" (1837)، وهو تاريخ من 3 مجلدات، بأنها "مجموعة غريبة من حراس السحاب لم ترها الأرض قط" ووصفه بأنه "غير قابل للفساد". وصف المؤرخ الفرنسي إدغار كينيه روبسبير في كتابه: "لا" الثورة (1868)، "ce terrible renverseur" (هذا المتمرد الرهيب) الذي لا يتوقف عن إحداث "المحرقة" للجمهورية.

وأشار كوينيه إلى أن روبسبير "لم يكن لديه أي وازع من الأخلاق بشأن قطع الرؤوس التي كانت عقبات أمام ظهور العدالة على الأرض". وأشاد مؤرخون جمهوريون واشتراكيون مثل إتيان كابيه ولويس بلان وإرنست هامل بـ "القيادة الثورية" لروبسبير. وأقر العديد من المؤرخين بفضائل روبسبير كونه مجتهدًا، ونزيهًا، ومؤمنًا راسخًا بالديمقراطية. وقد أشاد إرنست هامل، الذي نشر في 1868 كتاب: "حياة روبسبير" في 3 مجلدات، بروبسبير ووصفه بأنه شخصية تشبه المسيح.

المؤرخون الاشتراكيون شوهوا سمعة المؤرخين ذوي التوجهات الليبرالية بسبب هجومهم على روبسبير، واتهموهم بأنهم برجوازيون. إلا أن كروزيه أكد أنه الخطأ اتهام هؤلاء المؤرخين الموهوبين بحمل مشاعر برجوازية. مع ذلك، لا تزال الجوانب السلبية لشخصية روبسبير حاضرة في الأبحاث. أدان معظم المؤرخين في تلك الحقبة

روبسبير لأسباب أخلاقية وإنسانية. وصف المؤرخ القومي الفرنسي، جول ميشيليه، روبسبير بأنه ديكتاتور مصاب بـ "هوس التطهير المطلق".

في كتاب ميشيليه: "تاريخ الثورة الفرنسية" (1869)، وصف روبسبير بأنه طاغية وادعى أن ديكتاتوريته دمرت الجمهورية. رأى المؤرخ الفرنسي أدولف تيير أن روبسبير "واحد من أحقر" الكائنات ولم يكن لديه أي شفقة على الآخرين. كما وصف ثيرز روبسبير بأنه "بابا متعطش للدماء" و"واحد من أكثر الكائنات البغيضة التي كان من الممكن أن تحكم حكمًا مطلقًا على البشر". وهكذا كان من الطبيعي أن يؤكد ثيرز أن الكنيسة ظلت معارضة لـ "روح الثورة".

مؤرخو القرن 20، الذين كانوا أكثر اعتيادًا على العنف والحرب في أوروبا، أعادوا الاعتبار لروبسبير. رغم أن الزعيم الاشتراكي الفرنسي، جان جوار، أعجب بروبسبير في عمله: "التاريخ الاشتراكي للثورة الفرنسية" (1900-1)، إلا أنه رأى احتفاء روبسبير بـ "الكائن الأسمى" بأنه "أمر مؤسف". إلا أن جواريس برر عهد الإرهاب بأنه ضروري للدفاع عن الثورة، وادعى أن روبسبير حاول تخفيف حدة القمع. بدأ المؤرخون الماركسيون الذين تبعوا ذلك في تغيير الاتجاه التاريخي المتعلق بروبسبير من خلال تقديم تحليل إيجابي لفترة الإرهاب. كان ألبرت ماتيز وجورج لوفيفر من أبرز المؤرخين الذين أعجبوا بروبسبير. وأُعجِب كل من ماتييز وليفيفر بالسياسات الستالينية ورأوا في ستالين حاميًا للشيوعية، وأن أفعاله، مثل أفعال روبسبير، كانت مبررة للدفاع عن الجمهورية.

وفي اثنين من أعماله أشاد ماثييز بقيادة روبسبير الشجاعة، مشيرًا إلى أن

"النقطة الأساسية للدين الثوري هي عبادة جمهورية الحرية والمساواة...". "...بدون ألغاز أو وحي أو شعائر، دين لا ينطبق فيه فعل الإيمان والعبادة على شيء غامض، بل على المؤسسة السياسية في حد ذاتها، أي الوطن..."

أدرك لوفيفر أوجه قصور روبسبير، باعتبارها مسؤولة عن تسريع وتيرة الإرهاب، ومع ذلك برر سلوك روبسبير باعتباره واقعيًا خلال فترة الإرهاب. والمؤرخ الفرنسي الماركسي، ألبرت سوبول، أشار في كتابه: "روبسبير والحركة الشعبية 1792-1794، الماضي والحاضر" (مايو 1954)، إلى أن تصميم روبسبير على "أن يكون في صف الشعب"، "جعله عدوًا للملكية". وبالنسبة لماثيز وليفيفر، جسد روبسبير مبادئ عام 1789 و"الدفاع البطولي للجمهورية ضد أوروبا المضادة للثورة في الفترة 1792-1794".

أشار ريتشارد واتمور إلى أن الطغاة يزدهرون من خلال شيطنة أولئك الذين نختلف معهم. بالنسبة لماكس فيبر، كان هؤلاء الطغاة يمتلكون الكاريزما وكانوا قادرين على التلاعب بالأحداث بطريقة تجعلها تبدو وكأنها لا يوجد بديل آخر متاح سوى "الخضوع للثوري/ الطاغية وتنفيذ أوامره". بكلمات واتمور:

"حتى الجمهوريون الذين رأوا أنفسهم، ورأى الآخرون أنهم الأكثر فضيلة في المجتمع، مثل ماكسيمليان

روبسبير "الذي لا يفسد"، انتهى بهم الأمر إلى تبرير المذبحة".

لم تكن المدرسة التنقيحية راضية عن تفسير روبسبير. وكان أبرز مؤيديه المؤرخين المراجعين، فرانسوا فوريه ودينيس ريشيه، وكلاهما كانا شيوعيين ولم يوافقا على الشمولية السوفيتية. دافع المؤرخ البريطاني وأستاذ التاريخ الفرنسي في جامعة لندن، ألفريد بيرت كارتر كوبان، إلى جانب المؤرخ الفرنسي الرائد فرانسوا فوريه، عن وجهة نظر ليبرالية كلاسيكية للثورة الفرنسية. لاحظ فوريه التشابه بين ستالين وروبسبير. قام ستالين، مثل روبسبير، بتصفية شركائه السابقين باسم النضال ضد الثورة المضادة.

لم يكن الشعب ممثلًا خلال دكتاتورية روبسبير، وقضت عليه "الأوليغارشيات المتشددة"، والأندية والأقسام واللجان كانوا يتنافسون على الحق في أن يكونوا صورة الشعب. في مقاله: "التعليم المسيحي حول الثورة الفرنسية" (1970-1)، انتقد فوريه التفسير الماركسي لفشله في شرح عدم استقرار الحكومة الثورية، الأمر الذي أدى إلى عهد الإرهاب في عهد روبسبير. في كتابهما: "الثورة الفرنسية"، كشف فوريه وريشيه (1973) عن الصفات الدنيئة لروبسبير التي كان يحكم بها على الناس إما بأنهم أخيار أو أشرار، وطنيون أو خونة.

في كتابه: "تفسير الثورة الفرنسية" (1981)، ادَّعى فوريه أن الثورة لم تستقر بسبب "مفهوم جذري وغير مستقر بطبيعته للديمقراطية" وكان استبداديًا تمامًا مثل النظام الملكي، حيث المعارضة مرفوضة. رغم أن التبشير بـ

"الكائن الأسمى" كان يُفترَض أن يغرس في الناس إيمانًا جديدًا وحديثًا، بدلًا من الدين التقليدي، إلا أنه لم يجلب الحرية للمضطهدين، بل زاد اضطهاد الأبرياء لأتفه الأسباب. و"لم يكن للخالق نفس السيطرة عليهم كما كانت لـ "لجنة السلامة العامة"" الحرب والخوف استمرا محركين سياسيين ونفسيين رئيسين للدكتاتورية الثورية.

منذ ثمانينيات القرن 20، هاجم مؤرخون ماركسيون هذه المدرسة التنقيحية وأدانوا مؤرخيها باعتبارهم مؤرخين مناهضين للثورة. ونشر المؤرخ الاشتراكي ماكس جالو كتابًا في عام 1986 أشاد فيه بروبسبير، وأشار إلى أنه رغم أوجه قصور روبسبير وجرائمه، إلا أنه "يستحق الاحترام لكونه بطلًا ثوريًا".

<u>الإرهاب كضرورة، والإلحاد:</u>

أشارت المؤرخة البريطانية ماريسا لينتون إلى أنه رغم أن اليعاقبة كتبوا دستورًا ديمقراطيًا يهدف إلى منح الحرية والمساواة للجميع، إلا أنه وُضِع جانبًا "حتى حلول السلام". ادّعى روبسبير أنه ديمقراطي حقيقي، لكنه كان يعتقد أن هناك أولويات أخرى مثل بقاء الجمهورية، وأن كل شيء يجب أن يكون خاضعًا لذلك. في صيف عام 1793، كانت فرنسا في حالة حرب مع أوروبا، وكانت هناك حرب أهلية في منطقة فانديه، وكانت هناك انتفاضات ضد حكومة اليعاقبة.

شعر الثوار بأنهم محاصرون، ولذلك صوت المؤتمر لصالح تدابير صارمة سمحت بالإرهاب لأن البلاد كانت

تواجه أعمالًا عدائية. لقي آلاف الأشخاص حتفهم في عام 1793، وأُعدم 2639 شخصًا بالمقصلة في باريس وحدها. و"كان روبسبير الرجل الذي قدمت خطاباته التبرير القانوني والأخلاقي للإرهاب، وهو دور سيدفع ثمنه غاليًا".

بحسب سلافوي جيجيك، منذ عام 1990، أعرب الجميع، بمن فيهم "اليسار الراديكالي"، عن خجلهم من إرث اليعاقبة الإرهابي. كان الرعب ضروريًا لروبسبير للوصول إلى الفضيلة. وبرر جيجيك إرهاب روبسبير بالقول إن الثورة بدون تجاوزات ليست ثورة. وبرر العديد من المؤرخين الاشتراكيين عهد الإرهاب بحماية الجمهورية من أعدائها.

يجب إعادة تقييم عهد الإرهاب مرة أخرى من خلال إعادة النظر في تجاوزات روبسبير التي كان لها تأثير مدمر على المجتمع آنذاك، مع الإشارة إلى المخاوف المشروعة التي كانت لديه ولدى الثوريين الآخرين من الأرستقراطيين أو المتآمرين الآخرين. وبفضل فلسفات عصر التنوير الأوروبي في أواخر القرنين 17 و18، يدّعي المثقفون الغربيون أن "عصر التنوير الربوبي، وليس الإيمان اليهودي المسيحي، هو الذي أنتج الحضارة الغربية". والنظرة العالمية الربوبية للفرنسيين أفسحت الثورة المجال لإلحاد الحداثة، الذي تبنى نظرية داروين([8]) عن بقاء الكائنات الحية. نحن الآن

([8]) الفيلسوف والكاتب الفرنسي فولتير، أحد أبرز مفكري عصر التنوير. وُلِد فولتير في 21 نوفمبر 1694 في باريس، فرنسا، باسم فرانسوا ماري أرويه، أظهر موهبة أدبية مبكرة، بدأ حياته المهنية ككاتب ساخر، لكنه سرعان ما تحول إلى أحد أبرز المفكرين. ساهمت كتاباته في تمهيد الطريق لـ "الثورة الفرنسية"، كما أثر في العديد من الفلاسفة والمفكرين، مثل جان جاك روسو، توماس

ننتقل إلى عصر ما بعد الحداثة من الوثنية الجديدة، وعبادة الطبيعة.

لقد انتشرت هذه النظرة الإلحادية للعالم على نطاق واسع في الغرب والعالم. كان روبسبير أول شخصية سياسية استخدمت سلطتها لحمل راية التحول إلى الربوبية، حيث كانت ثورته ثورة ضد التقاليد والملكية والدين الرسمي، الأمر الذي أكسبه تقدير اليساريين.

كان ميلر محقًا في الإشارة إلى أن معظم الثوار الفرنسيين كانوا مؤمنين بوجود إله خالق وليسوا ملحدين. في الواقع، يدعي تشارلز ليتل أن أعضاء طائفة العقل لم يكونوا ملحدين وأن ذلك كان سوء فهم لمصطلح اللاأديان أو الكفر. كانوا لا أدريين، وكانت غالبيتهم من الربوبيين.

بل كان أنصار النظام القديم هم الذين زعموا أن عبادة العقل ملحدة كدعاية معادية للثورة لدعم روبسبير في جهوده، في عام 1793 للتنديد بعبادة العقل باعتبارها إلحادًا أرستقراطيًا والدعوة إلى تبني الربوبية. لقد نجح روبسبير في التوفيق بين "الإلحاد التنويري الراديكالي لسبينوزا ولا ميتري وغيرهما، وبين المحافظة التي سادت في النظام القديم" وهي استخدمت الدين "أداة للسيطرة الاجتماعية". وبفضل هذه "المناورة الدقيقة"، تمكن روبسبير من بناء طائفته الربوبية الخاصة بـ "الكائن الأسمى" وكانت ذات إله غامض.

جيفرسون، وفريدريش نيتشه. توفي فولتير في 30 مايو 1778 عن عمر 83 عامًا في باريس.

في نظر روبسبير، كانت الرسالة الأخلاقية للمسيحية مفيدة لدينه الجديد الذي يمكن لفرنسا استخدامه، لكن الكهنة التقليديين حُرموا من دور في المجتمع. لقد فقدت المسيحية مصداقيتها في نظره، حيث قال: "لا شك أن إنجيل العقل والحرية سيصبح قريبًا إنجيل الكون". أُسِّست عبادة "الكائن الأسمى" بمرسوم 7 مايو 1794 وتم تعريف الله بالثورة وبأن له علاقة فريدة مع الشعب الفرنسي. "إن خصائص الألوهية، كما حددها روبسبير، كانت هي تحديدًا خصائص الثورة: الحرية والعدالة، وقبل كل شيء، الفضيلة". وروبسبير ادعى أنه يجسد هذه الخصائص، وبالتالي قام بـ "تأميم الدين".

كان روبسبير يعتقد أن الكاثوليك، مع مرور الوقت سيندمجون في "دينه العالمي القائم على الطبيعة". وكانت رؤيته للألوهية بمنزلة دين جديد تمامًا ومنفصل عن المسيحية، حيث يحكم الإله كونًا منقسمًا بين مؤيدي الثورة ومعارضيها. وهكذا كانت عبادة "الكائن الأسمى" ذات دوافع سياسية. لقد كان روبسبير يعتقد أن المواطنين لم يكونوا بعد "مستحقين أخلاقيًا للمؤسسات التي أُنشِئت لصالحهم"، وكان يريد تغيير الرجال عبر التعليم. وللحفاظ على الثورة في مسارها الصحيح، سيحميها اليعاقبة الأخلاقيون بدلًا من الخونة. كان روبسبير يعتقد أن تكثيف عهد الإرهاب يمكن أن يعيد تجديد الأخلاق لدى المواطنين. لقد برر العنف المطلق ورأى نفسه إلهًا، قادرًا على استخدام العنف حسب رغبته.

وصف روبسبير المسيحية بوضوح بأنها متعصبة منذ النقاش السياسي في الجمعية الوطنية في 20 أكتوبر 1789، لقد رأى المسيحية سلاحًا يستخدمه رجال الدين المقاومون لتضليل الناس وإبعادهم عن "المبادئ الجيدة"، ودفعهم لمقاومة القواعد والانضمام إلى العدو، الثورة المضادة. ومنذ ذلك الحين، تحدث روبسبير علنًا عن المؤامرة ضد الدولة. لم يرغب في شن حملة قمع فورية ضد الكنيسة حتى لا يؤذي مشاعر الناس. وقد افترض روبسبير أن خرافات الدين التقليدي ستختفي في نهاية المطاف من خلال التعليم الأفضل.

لقد كان شخصية متناقضة، إذ استخدم القمع ومع ذلك تفاخر بأن فرنسا متسامحة مع جميع الطوائف وأن المسيحية لم تعد تشكل تهديدًا للجمهورية. وفي الواقع، تعرض معظم الكاثوليك والبروتستانت واليهود للترهيب وفقدوا حريتهم في العبادة بذريعة الإخلال بالنظام العام. ومثل جميع فلاسفة القرن 18 الآخرين، كان روبسبير يكره الكاثوليكية، وتبعًا لنهج روسو، فقد اعتقد أنها كما قال روسو إن: "كل ما يكسر الوحدة الاجتماعية لا قيمة له"، وكان روبسبير مقتنعًا بأن العقل سينتصر على الروح.

وبحسب المؤرخ رينالد سيشر، فقد أُغرِق 5000 شخص، من بينهم كهنة ونساء وأطفال، في الأشهر الأخيرة من عام 1793، بينما أُعدِم 50000 شخص بوسائل أخرى. وقد حاول جول ميشيليه تبرير هذه التجاوزات بالإشارة إلى أن الثوار أرادوا قمع العدو، وأن "فرق الإعدام التي استخدموها وعمليات الإغراق كانت وسائل لتسهيل

الموت"، ومنذ إعدام آخر ملوك فرنسا، أصبح موقف روبسبير من استخدام العنف والإرهاب أكثر قدسية. وبالنسبة لروبسبير، ارتبط عهد الإرهاب بالفضيلة لأنه كان عملًا "لتطهير الجمهورية الجديدة من العناصر الخائنة"، حيث عهد الإرهاب كان "مظهرًا من مظاهر الفضيلة، وهي صفة جمهورية مقدسة في الأمة".

كان يُنظر إلى الإرهاب على أنه متعالٍ، "نشاط سياسي ميتافيزيقي". لقد منح عهد الإرهاب الثوار إحساسًا بقدسية الثورة، وهو أمر لم يكن بوسعهم الاستغناء عنه. وأشار المؤرخ فريتز هيرشنر إلى أن روبسبير أصبح "متعصبًا لا يرحم بشكل متزايد ... ... يقضي على كل ما يبدو خطيرًا بحسب شكوكه، التي وصلت إلى جنون". والباحثة في معهد الدانوب، سوما هيغيدوس، أكدت خطر روبسبير على الجمهورية، وأضافت أنه لم يرَ الإرهاب ضروريًا فحسب، بل اعتبره "محوريًا في أيديولوجيته السياسية". وقد أشار روبسبير إلى ما يلي:

> **يجب علينا خنق أعداء الجمهورية الداخليين والخارجيين أو الهلاك معها؛ والآن في هذا الوضع، يجب أن تكون القاعدة الأولى لسياستكم هي قيادة الشعب بالعقل وقيادة أعداء الشعب بالإرهاب.**
>
> **إذا كان ينبوع الحكم الشعبي في زمن السلم هو الفضيلة، فإن ينابيع الحكم الشعبي في الثورة هي الفضيلة والإرهاب في آن واحد: الفضيلة، التي بدونها يكون الإرهاب مميتًا؛ والإرهاب، الذي بدونه تكون الفضيلة عاجزة.**

الإرهاب ليس إلا عدالة، سريعة، صارمة، لا هوادة فيها؛ ولذلك فهو انبثاق للفضيلة.

الفصل الثاني:
أوراق روبيسبيرية

انقسم المؤرخون حول شخصية روبسبير، حيث أيده البعض وعارضه الباقون. ورغم وجود ثغرات لا تزال موجودة في كتابة التاريخ الخاص بالشخصية الثورية الفرنسية ماكسيميليان روبسبير، إلا أنه يمكن الحصول على المزيد من المعلومات المتعلقة بروبسبير من العقود التي تلت عهد الإرهاب. وأحد مشكلات التأريخ لشخص روبسبير أن أقرب المقربين إليه الذين كانوا يعرفون الكثير عنه ماتوا معه، وبالتالي فإن الشهادات غير متوفرة، لكن هذا لا يعني وجود نقص في الوثائق التي كتبها روبسبير وصديقه الثوري سانت جوست والتي لا تزال شاهدة على أفكارهما الراديكالية، وهناك أدلة على تطرف سانت جوست فيما يتعلق بما اعتبره هو وروبسبير أعداء للثورة.

في الأعمال الكاملة لسانت جوست، يوجد الخطاب التالي حول دستور فرنسا، الذي ألقاه في 24 أبريل 1793:

> كان كل طاغية يراقبنا عندما كنا نحكم على أحد أقرانه: قريبًا ستحاكم الأمم المستنيرة أولئك الذين حكموها؛ سيهرب الملوك إلى الأراضي القاحلة، بين الحيوانات المفترسة، أقرانهم، وستستعيد الطبيعة حقوقها. كل ذلك يجب أن يكون ثمرة القوانين التي تمنحونها لنا. كلا، لن تسمحوا بوجود أي بذرة من الاستعباد

والاغتصاب؛ فقد تم قطع كل حجر لبناء صرح الحرية: يمكنكم – بالأحجار نفسها – بناء معبد أو قبر لها.

بعض الأوراق غير المألوفة التي كتبها روبسبير ألقت الضوء على أفكاره وأظهرت أنه لم يكن "غير قابل للفساد" كما أحب أصدقاؤه تصويره. وتكشف هذه الوثائق كيف أصيب روبسبير بجنون العظمة وكيف جنَّد جيشًا صغيرًا من العملاء السريين في باريس والمقاطعات التي كانت مسؤولة أمامه مباشرة لمتابعة القادة السياسيين الذين كان روبسبير يشك بهم، دون أن يتم اكتشافهم. وهناك أدلة أكثر قطعية حول تطرف روبسبير لا علاقة لها بالمبالغات التي أطلقها أعداء روبسبير بشأن طغيانه. وثمة رسالة طويلة مجهولة المصدر إلى روبسبير عُثر عليها بين أوراقه، (5 أبريل 1794)، وهدد كاتبها باغتيال روبسبير لتدميره فرنسا واتهمه بأنه "تخلى عن مبادئه المساواتية المبكرة ليصبح طاغية دمويًا".

وما يتحدى المؤرخين أن عليهم أن يقرروا ما إذا كان روبسبير مجرد متعصب ديكتاتوري لا إنساني تسبب في وفيات غير ضرورية للناس أو "صاحب رؤية متفانٍ" حاول من خلال الاعتقالات الجماعية والإعدامات بين عامي 1793 و1794 إنقاذ الثورة. وتركيز بعض المؤرخين على التكتيكات بدلًا من الأيديولوجيا لا يفسر فرض روبسبير عبادة "الكائن الأسمى" كعقيدة جديدة لفرنسا ولا إصراره الشديد على اتباع سياسة الإرهاب كشكل من أشكال الفضيلة.

أحد التقارير الرئيسة الأولى لشهود العيان فيما يتعلق بشخص روبسبير يأتي من الفيلسوف وعالم الرياضيات ماركيز دي كوندورسيه([9])، الذي دافع (1792) عن القضية الجمهورية وانضم إلى المعتدلين الداعين إلى إنقاذ حياة الملك. دافع كوندورسيه عن مُثُل "الثورة الفرنسية"، وتطورت أفكاره مع تقدمها.

اعتُقِل كوندورسيه بسبب إدانته ما سمي: "عمليات التطهير" ورفض الطريقة التي نُفِّذَت بها الثورة، ورفض القيود المفروضة على الحرية، قيودٌ "ستحول الثورة إلى عهد الإرهاب"، ورفض "إخضاع القانون لرحمة الفضيلة الجمهورية". أدان كوندورسيه دستور اليعاقبة الذي حل

([9]) كوندورسيه، فيلسوف ومفكر موسوعي فرنسي تعاطف مع مذهب الجيروند (التيار اليميني في الثورة الفرنسية)، وعضو أكاديمية العلوم في فرنسا. ولد مركيز كوندورسيه في أسرة عريقة، في بيكار دى (1743)، وتلقى تعليمه على اليسوعيين في رامس وباريس، وحين بلغ السادسة والعشرين انتخب عضوًا في أكاديمية العلوم. ويعتبر كوندورسيه خاتم الفلاسفة الفرنسيين. وفي 1790 اختير للمجلس البلدي الذي كان قد تسلم إدارة باريس، ثم انتخب عضوًا في "الجمعية التشريعية" التي حكمت فرنسا من أول أكتوبر 1791 إلى 20 سبتمبر 1792، ووضع بوصفه رئيسًا للجنة التعليم العام تقريرًا يدعو إلى نظام قومي للتعليم الابتدائي والثانوي، العام، المجاني، الشامل للجنسين على السواء، والبعيد عن النفوذ الكنسى. لما تبنى المؤتمر الذي سيطر عليه اليعاقبة دستورًا أكثر تطرفًا، كتب كوندورسيه نشرة ينصح فيها المواطنين أن يرفضوه. وفي 8 يوليو 1793 أمر المؤتمر بالقبض عليه، فهرب وظل 9 أشهر مختبئًا في منزل إحدى صديقاته، وكتب مخططًا للمجتمع المثالي القادم ("نشرة تمهيدية لجدول تاريخي بمراحل تقدم العقل البشري"). احتفظ كوندرسيه بإيمان ربوبي بالله، لكنه اعتمد على تقدم المعرفة وانتشارها لتقويض سلطان الكنيسة، وتوسيع الديمقراطية، بل الارتقاء بالأخلاق. قُبضَ عليه، وزج في السجن (7 أبريل 1794)، وفي صبيحة اليوم التالي وجد ميتًا في زنزانته.

محل الدستور الذي ساعد في صياغته، واتهم "لجنة السلامة العامة"، بقيادة روبسبير، بـ "عدم الكفاءة والعمل في ظل جو من التهديد والخوف". وهكذا اعتُبِر متطرفًا للغاية وتهديدًا للثورة، وأصبح أحد أوائل ضحاياها. وأثناء اختبائه، كتب كوندورسيه رسالة اتهم فيها روبسبير بالديكتاتورية، وفي 25 مارس 1794، قُبِض على كوندورسيه وفي 28 مارس عُثِر عليه ميتًا في السجن.

قدمت الكاتبة الثورية الفرنسية مانون رولان، التي عرفت روبسبير شخصيًا وأصبحت أيضًا ضحية للإرهاب، صورة لروبسبير تتناقض مع صورته كرجل غير قابل للفساد. وأشارت في مذكراتها إلى أنها كانت معجبة في البداية بروبسبير في صالونها، وكتبت في السجن أنها خلال السنوات التي سبقت عهد الإرهاب، افترضت أن روبسبير كان "ليبرتاريًا حقيقيًا"([10]) وافترضت أن أخطاءه كانت بسبب الحماس المفرط وليس بسبب سوء النية. وقد وجدته

([10]) الليبرتارية (بحسب موقع الموسوعة السياسية -https://political encyclopedia.org – بقلم الباحث عمرو محمد إبراهيم)، فلسفة سياسية تشدّد على حقوق الأفراد بالحرّية، وباكتساب الممتلكات وترى أنّ الدور الرئيس للدولة حماية الحقوق الفردية. ويسعى الليبرتاريون إلى تعظيم الاستقلالية والحرية السياسية، مع التركيز على حرية الارتباط وحرية الاختيار والفردية والترابط الطوعي. وبشكل عام، فإن الليبرتارية مجموعة آراء في الفلسفة السياسية تقدر الحرية الفردية بشدة، وأن احترام الحرية الفردية شرط أساسي للعدالة. نتيجة ذلك، يعتقدون بوجود حدود قوية للإكراه المسموح به. ويمكن إجبار الناس على الامتناع عن انتهاك حقوق الآخرين، ولا يمكن إجبارهم على خدمة الصالح العام للمجتمع، أو حتى مصالحهم الشخصية. ويرى الليبرتاريون أن الفرد هو الوحدة الأساسية للتحليل الاجتماعي. فالأفراد فقط من يتخذون القرارات.

متحفظًا، وافترضت أن ذلك يعود إما إلى نقص الثقة بالنفس أو إلى جنون العظمة.

وشهدت شارلوت روبسبير، شقيقة روبسبير، بأن مدام رولان كانت معجبة بروبسبير حتى عام 1791. وبحلول عام 1793، أشارت مدام رولان إلى مدى خطئها بشأن روبسبير بقولها:

"من السهل بما فيه الكفاية، عندما يكون المرء متحيزًا لصالح شخص ما، تفسير أسوأ العلامات على أنها علامات نعمة".

وكتبت مدام رولان إلى صديقة لها:

"نحن تحت سكين روبسبير ومارا". "أنت تعرفين مدى حماسي للثورة. أشعر بالخجل من ذلك الآن. لقد لوثتها الوحوش. إنه أمر بشع".

شهدت مدام رولان الرعب الذي أثر عليها وعلى أصدقائها، حيث قرر اليعاقبة التخلص من خصومهم عن طريق الإرهاب. انقلب روبسبير على رولان وأصدقائها. ألقت رولاند باللوم على اليعاقبة في مذابح السجناء السياسيين عام 1792 الذين زُعم أنهم خططوا للانتفاضة في سجونهم للانضمام إلى مؤامرة معادية للثورة، وطالبت بمحاكمة قادة حزب اليعاقبة.

شعرت مدام رولاند بالغضب الشديد من اليعاقبة الراديكاليين والطريقة التي مارسوا بها السياسة وأدت إلى عهد الإرهاب. بحسب الكاتبة إيدا إم. تاربل، التي عاشت في القرن 19، كانت تأمل خلال فترة سجن رولاند في انتفاضة شعبية

ضد الطغيان. ولم تدرك أن الناس جرى التلاعب بهم ولم يتمكنوا من الانتفاض ضد قادة الإرهاب.

في مذكراتها التي كتبتها بعد "الثورة الفرنسية"، اتفقت الشخصية الأدبية والمنظرة السياسية، مدام جيرمين دي ستال، مع مدام رولان بشأن تعصب روبسبير وأكدت أنه كان يُذكر أكثر بسبب طبيعته المتحمسة للغاية لا بسبب موهبته أو بلاغته.

كانت ملامحه دنيئة!!

وشهدت مدام دي ستال تطرف الثورة وهجوم الإرهاب بعد مذابح سبتمبر 1792 التي أجبرتها على مغادرة باريس والاستقرار في سويسرا، لقد خاب أملها من الثورة، وقد أشارت إلى أن الاعتراض على الحكم المطلق الملكي والامتيازات لا يعني أن الحل يكمن "في سياسات الإرهاب والجرائم التي ارتكبها النظام الثوري". ونصها يحمّل اليعاقبة مسؤولية جرائمهم، في الداخل والخارج. وفي مذكراتها، اعتبرت دي ستال دعوة روبسبير للاحتفال بـ "الكائن الأسمى" بمنزلة "مهرجان فاسق" و"أكثر أنواع الإلحاد فجورًا". كان ذلك في رأيها أمرًا غير محترم لأنه حل محل الله الخالق.

وبحسب دي ستال فإن روبسبير أراد "بناء سلطته السياسية على دين مُرتب وفقًا لمفاهيمه الخاصة؛ كما فعل أولئك الذين رغبوا في الاستيلاء على السلطة العليا مرارًا وتكرارًا". وأشار المؤرخ بيتر ماكفي إلى تزامن مهرجان "الكائن الأسمى" مع تطبيق قانون 22 بريريال (10 يونيو)، الذي بدأ

فيه القمع ضد أية معارضة علنية للبرنامج السياسي لروبسبير: "الفضيلة والإرهاب".

حاولت شارلوت، شقيقة روبسبير، الدفاع عن أخيها ضد جميع الاتهامات، كتبت في مذكراتها بخصوص الاتهامات الموجهة إلى روبسبير:

"الرجال لا يتسامحون مع الجدارة في الرجال الآخرين، كما أن بعض النساء لا يتسامحن مع الجمال في النساء الأخريات".

لكن هذه "الميزة" المزعومة، كما أشارت، جعلته يرى نفسه فوق جميع الرجال، وبالتالي اعتقد أن حياتهم أو موتهم بين يديه.

المؤرخ ورجل الدولة فرانسوا غيزو اعتبر أن الثورة الفرنسية في عهد روبسبير انحرفت عن مسارها. وأشار في كتابه: "تاريخ الثورة الفرنسية، من 1789 إلى 1814" (1873) إلى كيف أصبح روبسبير متغطرسًا ومتعصبًا بمجرد تعيينه رئيسًا لـ "المؤتمر الوطني" و"بابا" في مهرجان "الكائن الأسمى". لقد خيب روبسبير آمال كل من كان يأمل في نظام حكم أكثر اعتدالًا، وألقى محاضرة بصفته كاهنًا أعظم: "أيها الناس، دعونا اليوم نستسلم لنشوة المتعة الخالصة!"

ومنذ ذلك الحين، بدأت عمليات الإعدام حيث كان يتم إرسال 50 شخصًا إلى الموت يوميًا. كان روبسبير يتمتع بسلطة كاملة على اليعاقبة، الذين كان يقبلهم ويطردهم حسب رغبته، بينما جميع المناصب المهمة يشغلها أتباعه. لقد شكّل بنفسه المحكمة الثورية واللجنة الجديدة. وبدأت المعارضة تتشكل ضد روبسبير بعد اتهامه بالطغيان بسبب

تأسيسه لدينه. وبحسب المؤرخ الفرنسي مارسيل غوشيه، فإن مأساة روبسبير تكمن في تفانيه المهووس للأهداف النبيلة الذي مهد الطريق لعهد الإرهاب عام 1793.

وبحسب شهود معاصرين كان يُنظر إلى روبسبير على أنه "شخصية شريرة ذات نزوع تدميري مكبوت". ألفونس أولارد، رئيس "جمعية تاريخ الثورة" في كتابه: "التاريخ السياسي للثورة الفرنسية" (1910)، أقر بأن روبسبير كان لديه بعض الفضائل، لكنه أدان انتهازيته وقمعه الوحشي لأي شخص عبر عن رأي يخالف رأيه.

وقد اعتبر أولارد في كتابه: "عبادة العقل والكائن الأسمى" أن الاحتفال بعبادة "الكائن الأسمى" كان وسيلة للتعبير عن الوطنية. وحرص روبسبير على تنظيم الاحتفالات في جميع بلديات الجمهورية، وذكّر بأهمية ترسيخ الربوبية كدين للدولة. ومهرجان "الكائن الأسمى"اعتُبِر انتقامًا من الشكل القديم للإيمان.

أولارد ومونا أوزوف اعتبرا الهدف من المهرجان لم يكن الترويج لإله متعالٍ، بل نقل "القداسة من الله إلى الأمة الثورية"، وروبسبير – بحسب تيار فكري – لم يكن عدوًا للمسيحية، بل كان يتصور تشكيل "المسيحية الجديدة". ولقد اعتُبِر ذلك جزءًا من حركة "نزع المسيحية" التي لم تكن منفصلة عن "عبادة العقل"، التي سعت إلى إحلال شكل جديد محل الشكل الكاثوليكي للعبادة.

وكان لدى روبسبير قناعة بأن هذا الدين الحديث أكثر استجابة لاحتياجات الناس في زمن متغير. وفي اعتراف بوجود صلة بين الثورتين: الفرنسية والروسية رأى البعض

في انتصار الشيوعية وتصنيع روسيا مبررًا لنهاية حقبة الأديان التي بدأت مع "الثورة الفرنسية". وبهذا الشكل، حكم على عبادة روبسبير الحديثة لـ "الكائن الأسمى" باعتبارها بديلًا ثوريًا للأديان المنظمة التي تنتمي إلى حقبة أقدم.

والناس كانوا بحاجة إلى دين أكثر تقدمًا، يرفض فكرة الأسرار أو الوحي أو الخوارق، دين جديد لم يعد "فعل الإيمان والعبادة" فيه ينطبق "على شيء غامض، بل على المؤسسة السياسية في حد ذاتها، الوطن، ... الوطن الذي يُنظر إليه على أنه مصدر السعادة ووسيلتها، السعادة الأخلاقية وكذلك السعادة المادية". وفكرة الله في ذهن روبسبير كانت مجرد بناء اجتماعي لأنه لم يحاول أبدًا تعريف الله أو إثبات وجوده، وكان من أولويات هذا الدين الثوري "عبادة جمهورية الحرية والمساواة"، لقد سعى روبسبير إلى نزع المسيحية.

يتفق مؤرخون عديدون على أنه منذ تأسيس "عبادة الكائن الأسمى"، تحولت الثورة إلى دكتاتورية بحكم الأمر الواقع، حيث حصد الإرهاب أرواح العديد من الناس تحت قيادة روبسبير وأتباعه. لقد كان يُنظر إلى أولئك الذين انتقدوا الثورة على أنهم ليسوا جزءًا من البيئة الأكاديمية المناسبة. وفي مقاله: "إعادة النظر في الثورة الفرنسية"، يوضح فوريه كيف كان روبسبير مسؤولًا عن انحراف الثورة الذي أضعف الديمقراطية وأقام نظامًا ديكتاتوريًا.

ولم يبرر لوران دينجلي، كاتب السيرة الذاتية الفرنسي الحديث لروبسبير، جرائم القتل التي ارتكبت باسم "الثورة

الفرنسية"، وعارض أولئك الذين منحوا روبسبير مكانة مقدسة. ولا تزال كتابات التاريخ الحديثة في فرنسا منحازة إلى حد ما لصالح روبسبير لأنه يُنظر إليه على أنه جمهوري. لا يزال هذا الانقسام بين الملكيين والجمهوريين يؤثر في كتابة التاريخ.

<u>أيديولوجية تغيير العالم:</u>

المؤرخ مارسيل غوشيه أدرك أن الثوار كانوا منغمسين في أيديولوجية تغيير العالم بكل الوسائل المتاحة لهم. وهكذا يفهم غوشيه أن "القضية النبيلة" لروبسبير، كما رآها، أدت إلى "التعصب والإيمان اللاعقلاني باستقامته الأخلاقية المطلقة". إن الأسطورة المحيطة بروبسبير لم تجعله محصنًا ضد "القسوة الأيديولوجية اللاإنسانية".

عندما انضم روبسبير إلى "لجنة السلامة العامة" في 27 يوليو 1793، قام هو وحلفاؤه بالبحث عن الأعداء والمعارضة والتآمر في كل مكان. وإلى جانب ملاحقة الأعداء طوال الوقت، سعى روبسبير إلى تأديب الشعب حتى لا يشكك في الثورة عبر الترويج لعبادة "الكائن الأسمى" الجديدة. لقد خرجت الأمور عن السيطرة مع قانون براريال (10 يونيو 1794) الذي ألزم جميع المواطنين بالتواطؤ في نظام الإرهاب بالإبلاغ عن أي شخص يشتبهون في قيامه بالثورة المضادة والتخريب.

وهناك أدلة متزايدة بشأن قسوة روبسبير تجاه أي شخص عارضه، بل إنه تخلص من أصدقائه إذا عبروا عن رأي مختلف عن رأيه. أُعدم اثنان من أبرز الثوار وحلفاء

روبسبير، وهما جورج دانتون وكاميل ديسمولان، بأمر منه. في أبريل 1794، قبض على دانتون ووجهت إليه تهمة معاداة الثورة وأُعدِم بالمقصلة. كما أمر روبسبير بإعدام كاميل ديسمولان، الذي كان ينشر صحيفة شعبية انتقدت أساليبه العنيفة.

الفصل الثالث:
لماذا هاجم روبسبير الدين التقليدي

قبل مجيء لويس الرابع عشر، كان هناك توازن بين الملك والبيروقراطية الملكية والنخب المحلية التي تتألف من نبلاء وغير نبلاء كانوا يجنون المال من الأرض التي يملكونها. تغيرت الأمور مع قدوم لويس الرابع عشر الذي سعى إلى زيادة سلطته على حساب البرلمان والنبلاء. جاء الدعم لحكم لويس المطلق من واعظ البلاط الملكي، أسقف مو، المنظر الرئيس للحق الإلهي، جاك بينين بوسويه (1627-1704). جادل بوسويه بأن الملوك يتلقون سلطتهم مباشرة من الله. وشبه سلطة الملك بسلطة الأب المطلقة في الأسرة، وبالتالي فإن سلطة الملك مطلقة في الدولة.

أكد بوسويه أن "الله يقيم الملوك كوزراء له، ويحكم من خلالهم على الشعب". كما صرح بأن "الأمير يجب أن يُطاع من حيث المبدأ، كمسألة دينية". أولئك الذين رفضوا صياغة بوسويه اعتبروا من دعاة الشيطان. لقد ناسب مفهوم الحق الإلهي طموحات لويس الرابع عشر في أن يصبح حاكمًا مطلقًا أو "ملك الشمس". يعود أصل الحكم المطلق للويس إلى كل من الإمبراطورية الرومانية والكنيسة المسيحية. وفي فرنسا وإنجلترا، وحتى القرن 17، كان يُنظر

إلى الملك على أنه كاهن يتمتع بسلطات معينة، وكان لويس الرابع عشر يُعتبر مثل "الشمس التي لا تقهر"، ملك الشمس.

بدأ البروتستانت الفرنسيون الذين فروا من البلاد بعد إلغاء "مرسوم نانت" في 18 أكتوبر 1685، في كتابة منشورات ضد الملك والكنيسة الكاثوليكية والانتهاكات التي ارتكبوها. كان جان كلود، رجل الدين البروتستانتي الفرنسي والأستاذ السابق للاهوت في كلية نيم البروتستانتية، أحد البروتستانت الذين فروا من فرنسا.

فرّ من فرنسا إلى هولندا بعد أن وقّع الملك لويس الرابع عشر على إلغاء مرسوم نانت. وبهذا انتهى التسامح مع البروتستانت الفرنسيين كما هو منصوص عليه في المرسوم. وأُمر جميع القساوسة بمغادرة البلاد في غضون 15 يومًا ما لم يعودوا إلى الكاثوليكية.

كتب جان كلود في منفاه كتابه: "الاضطهادات الوحشية لـ "البروتستانت" في المملكة الفرنسية" عن اضطهاد البروتستانت في فرنسا. كان الكتاب شائعًا جدًا لدرجة أنه تُرجم إلى الإنجليزية. وقد أُحرقت كلتا النسختين، الفرنسية والإنجليزية، بأمر الملك جيمس الثاني ملك إنجلترا عام 1686 لانتقادهما ملك فرنسا.

بإلغاء المرسوم، تم قُضي على الحريات الدينية التي كان يتمتع بها الهوغونوت([11]) الفرنسيون. أمر لويس الرابع

([11]) الهوغونوت الفرنسيون. في 1509 وُلد اللاهوتي جون كالفن في فرنسا، ويعتبر بشكلٍ ما خليفة مارتن لوثر مُطلق عصر الإصلاح الديني "البروتستانتي" في أوروبا. كان لكالفن تأثير قوي على المذاهب والأفكار الأساسية للبروتستانتية، ويُنسب إليه على نطاقٍ واسع تغيراتٍ واسعة في العقيدة

عشر بإجبار الهوغونوت على اعتناق الكاثوليكية الرومانية أو مواجهة عقوبات قاسية. هاجم بيير بايل، وهو من أتباع الهوغونوت المتحررين، إلغاء المرسوم ووصفه بأنه خيانة وغباء.

كان مونتسكيو، مفكر عصر التنوير الفرنسي في القرن 18، أحد أبرز منتقدي الحكم المطلق، والذي تحدى الحق الإلهي بمبدأ فصل السلطات. وأشار إلى أنه ينبغي ألا يُسمَح

المسيحية آنذاك، إذ إنه كان الشخصية الأكثر أهمية في الجيل الثاني من الإصلاح البروتستانتي. على مدار القرنين 16 و17 اعتنق الهوغونوتيون – البروتستانت في فرنسا – تعاليم اللاهوتي جون كالفن، إذ استقطب نهج كالفن المتعلّمين الفرنسيين. وكان من بين أتباعه بعض ألمع النخب الفرنسية المرموقة في فرنسا ذات الأغلبية الكاثوليكية. وبسبب التأثير الذي مارسه أتباع الكالفينية في دوائر الحكم، فقد تم التسامح معهم في البداية من قبل التاج الفرنسي الكاثوليكي. وفي 1555 تأسست أول كنيسة للهوغونوتيين الكالفنيين (المنتسبين لجون كالفن) في منزلٍ خاص في باريس، وبحلول عام 1562 أصبح هناك مليونان من الهوغونوت في فرنسا مع أكثر من ألفي كنيسة، وفي هذا العام أقر مرسوم سان جيرمان بحق الهوغونوت في ممارسة شعائرهم الدينية وإن كان ذلك مع وجود قيود؛ إذ لم يُسمح لهم بممارسة شعائرهم ليلًا أو في المدن خارج باريس، كما لم يُسمح لهم بالتسلّح خوفًا من تمردهم. وكان الملك فرنسيس الأول ملك فرنسا يفضل الهوغونوت بسبب مكانتهم وقدراتهم بالإضافة إلى مساهمتهم الاقتصادية في الشؤون المالية للبلاد. ومع ذلك، كانت الكنيسة الكاثوليكية مصممة على أن تظل القوة المسيطرة في البلاد، إذ كان 90% من سكان فرنسا كاثوليك. قوة الهوغونوت تعاظمت مع الوقت، وأصبح لديهم رغبةٌ في أن يتحوَّل التاج الفرنسي للبروتستانتية، نتيجة لذلك دبر الهوغونوت مؤامرة تهدف لاختطاف الملك وتغيير السياسات الوطنية في البلاد، وبد صراع. وفي أبريل 1562، أعلن قادة الهوغونوت حمل السلاح من وأنهم مجموعةً تحمل السلاح ضد أي قوات فرنسية معادية. وبدأت عقود من العنف عُرفت باسم: "حروب الدين الفرنسية". وفي نوفمبر 1789، مع ولادة الثورة الفرنسية؛ أكدت الجمعية الوطنية على حرية الدين، ومنح البروتستانت القبول في جميع المناصب والمهن. (عربي بوست، أحمد ناصر، 18 فبراير 2018).

بانحراف السلطة التنفيذية، وينبغي إخضاعها للرقابة والتوازن على يد هيئة تشريعية وقضائية مستقلة. وأُسقِطَت نظرية الحق الإلهي في فرنسا نهائيًا خلال "الثورة الفرنسية".

حتى قبل اندلاع "الثورة الفرنسية"، بإمكان المرء أن يرى أن هناك منتقدين للامتيازات الملكية ومفهوم الحق الإلهي، الذي بررته الكنيسة الكاثوليكية. ويمكن إرجاع سياسة نزع المسيحية إلى اثنين من الفلاسفة الفرنسيين البارزين في القرن الثامن عشر:

فولتير

جان جاك روسو.

كلاهما كانا يُعتبران من دعاة نزع المسيحية المعتدلين.

كان فولتير، الذي عاش في عهد لويس الخامس عشر، معروفًا بمعاداته لرجال الدين. في الواقع، أدلى فولتير بتصريحات لدير يبرجيه بشأن دور الكنيسة على مدى ال 1500 عام الماضية في إشعال الفتنة والاضطهاد والحروب الأهلية والقتل بسبب الخلافات اللاهوتية.

انتقد روسو الكنيسة والكاثوليكية الرومانية أيضًا، إذ وجدها متعصبة ومتجاهلة لرسالة المسيحية النقية الأولى. ولذلك، أنكر روسو على الكنيسة أي دور في "الدولة الشرعية" التي كان يتصورها. حلّ "الدين الطبيعي" الذي نادى به روسو محل المسيحية في دولته المثالية. وكان لهذا الرأي تأثير قوي في روبسبير. لقد استعار روبسبير العديد من الأفكار من روسو، ما يشير إلى أن "الإرادة الجماعية للشعب" جاءت من مفهوم روسو عن "الإرادة العامة". وقد أعرب

روبسبير عن إعجابه بروسو وأشار إلى أن كتابه: "الاعترافات" قد أثر فيه بشكل كبير:

"إن مثالك موجود أمام عيني، اعترافاتك الرائعة، ذلك الانبثاق الحر والشجاع لأنقى روح، سينتقل إلى الأجيال القادمة ليس كنموذج للفن بقدر ما هو معجزة للفضيلة.

أتمنى أن أسير على خطاكم الجليلة، ... وسأكون سعيدًا إذا بقيت، في المسيرة المحفوفة بالمخاطر التي فتحت أمامنا ثورة غير مسبوقة، وفيًا باستمرار للإلهامات التي وجدتها في نصوصكم!

ربما كان روبسبير قد تأثر كثيرًا بسلفه الربوبي، فولتير، الذي كان يؤمن أيضًا بـ "الدين الطبيعي".

زعم فولتير أن الإله المسيحي ليس الإله الحقيقي، وأن المسيحية كانت عدوًا للدين الحق.

وأشار إلى أن الصلبان والآثار والمسابح تبتذل الدين الحق وأن الخرافات تؤدي إلى التعصب، وهو ما يوجد في "جميع الأديان المنظمة الموجودة".

لا يُعتدّ إلا بعبادة "الكائن الأسمى"، لأن العقيدة هي أصل كل شر.

وهكذا، مهد كل من الفيلسوفين فولتير وروسو الطريق لسياسة نزع المسيحية التي ستحدث نتيجة "الثورة الفرنسية" ضد الدين التقليدي. بسبب تجاوزات الكنيسة الكاثوليكية خلال حقبة النظام القديم، سعى كل من فولتير وروسو إلى دين بديل، ما أدى إلى ظهور الربوبية، وهي ديانة غير تقليدية، حظيت بتأييد فولتير وروسو.

روبسبير كان يكره الاحتفالات الدينية ويرفض الكاثوليكية. وذكر روبسبير في مذكراته عام 1789 أنه كان يميل إلى المعتقدات الربوبية. اعترف روبسبير بأنه لم يكن متدينًا ولم يكن مهتمًا بالكاثوليكية عندما كان شابًا. كان أكثر اهتمامًا بالمعتقد الربوبي لروسو، وهو دين طبيعي:

"رغم جهود أولئك الذين أشرفوا على تعليمي، فقد تركت الكلية وأنا كاثوليكي سيئ للغاية، ولم أكن أميل حتى إلى الإيمان بالوحي. لم يُغيّر روسو قناعاتي، ولكن إذا لم تُخاطب حقائق الضمير المُربكة عقلي بلغةٍ قويةٍ بما يكفي لإقناعه بوجود ذكاءٍ أسمى، فإن الصوت القوي والديني لذلك الكاتب العظيم قد أكّد تلك المؤشرات الأولى، وأنا مدينٌ له بإيماني الراسخ بالعناية الإلهية المُجزية".

انجذب روبسبير إلى نظرية روسو عن الفضيلة المدنية من كتاب: "العقد الاجتماعي"، والتي وضعت المصالح الجماعية فوق المصالح الفردية. روبسبير واليعاقبة أرادوا فرض إرادة الطبيعة عبر القول بأن الدولة يجب أن تقبل القوانين التي تأتي من الطبيعة، ما يعني أن "القانون لم يكن مظهرًا للإرادة العامة، بل للطبيعة". أصبح إنشاء جمهورية قائمة على حالة الطبيعة "هاجسًا لضمان تحقيق مجتمع مثالي".

إن إيمان روبسبير بكائن أسمى ودين مدني متجذر في فلسفة روسو حول الدين، الموجودة في روايته: "إميل" (الكتاب الرابع) و"كونترا سوسيال" (الكتاب الرابع). كان روسو مقتنعًا بأن الإنسان قادر من خلال الإدراك الحسي

وليس العقل على تصور الدين الطبيعي والله. بحسب روسو، أصبحت الكنيسة فاسدة ومستبدة. وأشار إلى أن رجال الدين المسيحيين سعوا إلى إيجاد طرق جديدة للوصول إلى السلطة وممارستها، وللحرمان الكنسي حسبما يرونه مناسبًا. كان روبسبير على دراية أيضًا بامتيازات الكنيسة وإساءة استخدام السلطة.

الإرهاب الحتمي:

كان عهد الإرهاب حتميًا بسبب القطيعة بين الكنيسة الكاثوليكية والثورة التي بدأت عام 1791. أعمال العنف المعادية لرجال الدين في صيف وخريف عام 1792 أدت إلى ترحيل الكهنة المتمردين، ووقوع مذابح من نورماندي إلى بروفانس. هيمن اليعاقبة بقيادة روبسبير على "نادي اليعاقبة" منذ خريف عام 1792. لعب روبسبير دورًا هامًا في التحريض الذي أدى إلى سقوط الجمعية التشريعية في أغسطس 1792 والدعوة إلى عقد مؤتمر دستوري. ابتداءً من سبتمبر 1792، بدأ صراع على السلطة بين الجيروندیين واليعاقبة في "المؤتمر الوطني".

رغم أن اليعاقبة لم يحققوا النصر في انتخابات سبتمبر 1792، إلا أنهم تمكنوا في غضون بضعة أشهر من القضاء على خصومهم والسيطرة على "المؤتمر الوطني". كان الثوار، إلى جانب روبسبير، مصممين على التخلص من لويس السادس عشر لأنه كان يمثل رأس الكنيسة، فضلًا عن كونه مستبدًا وفاسدًا. بحسب مايكل والزر، كان يُنظر إلى الملك

على أنه مصدر الخرافات لأن سلطته كانت معتمدة من قبل الكنيسة لامتلاكه الحق الإلهي.

من ناحية أخرى، دعا أحد الثوار، سان جوست، إلى إعدام الملك، لأن النظام الملكي، بحسب قوله، كان "جريمة أبدية". بل ذهب روبسبير إلى أبعد من ذلك بإعلانه أنه: "إذا حوكم الملك ، فقد يحصل على البراءة، وإذا كان بريئًا، فإن الثورة ستكون مذنبة"، وهو وضع لم يستطع روبسبير قبوله. بمعنى آخر، لا يمكن أن يكون هناك حل وسط بين الملك وحلفائه المناهضين للثورة والثورة نفسها.

وكما قال روبسبير في محاكمة لويس السادس عشر: "يجب أن يموت لويس لأن الوطن يجب أن يعيش"، واعتبره الصحفي والثوري جان لويس كارا لويس "مصدر الفساد والعبودية ... التعويذة المشؤومة لجميع أمراضنا" وأن موته سيؤدي إلى "تجدد الشعب في الأخلاق والفضيلة".

في خطاب روبسبير الثاني في المحاكمة، في ديسمبر 1792، أخذ زمام المبادرة للتوصية بالإعدام، بل هاجم فكرة الاستفتاء باعتبارها مؤامرة لإنقاذ الملك، وبهذه الطريقة قوّض الأساس الذي قامت عليه الثورة. لقد تلاعب لدفع الناس إلى قبول الحكم السريع على لويس السادس عشر بأن قال: إن أي تأخير في إعدامه يضر بسلامة الدولة. كل تأخير يثير آمالًا مذنبة ويشجع جرأة أعداء الحرية.

وأدى موت لويس السادس عشر إلى تسريع اضطهاد الكنيسة وأتباعها، حيث كانت تعتبر السلطة الثانية بعد الملك. استُشهد بقانون الدستور المدني لرجال الدين، الذي

أُقرّ في 12 يوليو 1790 لإخضاع الكنيسة الكاثوليكية في فرنسا للحكومة الفرنسية، فاتّبعت إجراءات جديدة.

منذ 31 مارس 1791، كان روبسبير رئيسًا لنادي اليعاقبة في المؤتمر. ورغم انتقاده جهود نزع المسيحية التي قادها منافسوه، إلا أنه سينفذها على أكمل وجه بمجرد أن يتولى زمام السلطة بالكامل في 1793. وأكثر ما أزعج روبسبير المقاومة الدينية للثورة التي ازدادت قوة في أقاليم فرنسا. كتب إليه شقيقه عن معارضة رجال الدين في المقاطعات للثورة، الأمر الذي أغضب روبسبير بشدة.

وقد كتب روبسبير إلى صديق معروف في باريس يوضح فيه كيف استهانت "الجمعية الوطنية" بالمقاومة الدينية التي يقودها الكهنة المتمردون، وتحدثت بدلًا من ذلك عن التسامح وحرية الطوائف. وكتب روبسبير: "في كل مرة ينجح كاهن في تحويل شخص ما إلى دينه، فإنه يخلق عدوًا جديدًا للثورة؛ لأن هؤلاء الأشخاص الجاهلين الذين يضلونهم غير قادرين على التمييز بين المصلحة الدينية والمصلحة الوطنية". وبحلول ديسمبر 1793، كانت الحكومة الثورية بقيادة اليعاقبة. وانتُهِكَت حقوق فردية عديدة، ورغم النص على حرية الدين في الدستور، أُضيفت مادة أخرى تقيد هذه الحرية بمجرد أن تختلط العبادة العامة بالوعظ المتعصب للأفكار المعادية للثورة. سيتم معاقبة مثل هذا السلوك "بكل صرامة".

وبالتالي، كان للدولة الحق في حماية حرية الضمير أو تقييدها من أجل مصلحة الشعب. وازدادت حملة نزع المسيحية التي شُنّت ضد مسيحيي فرنسا مع سنّ "قانون

17 سبتمبر 1793"، أو قانون المشتبه بهم. وبموجب هذا القانون، كان جميع الكهنة وكل من يحميهم "معرضين للموت في الحال". كما سمح روبسبير، كبند من بنود هذا القانون، بتدمير جميع الصلبان والأجراس والتماثيل والأيقونات الموجودة في الكنائس. وفي 1793، استُبدِل بالتقويم المسيحي تقويم يبدأ بتاريخ الثورة، وأُسِّسَت مهرجانات الحرية والعقل و"الكائن الأسمى" رسميًا. وفي عهد الإرهاب الذي دام عامين، أصبح اضطهاد المسيحيين أكثر عنفًا من أي وقت مضى في تاريخ الثورة.

الفصل الرابع:
الدين والإرهاب في عهد روبسبير

تأثرت نظرة روبسبير إلى الدين بعصر التنوير، فكان يعتقد أن الدين يمثل الجماهير وأنه ضروري للنظام في المجتمع. لقد تصور دينًا علمانيًا يتعارض مع العقائد التقليدية التي اعتبرها خرافية وقديمة، وهو بالتالي اعتنق الربوبية، التي تؤمن بوجود إله. أراد أن يؤمن الجمهور بوجود إله؛ وقبل وفاته، في 1794 أصدر مرسومًا يشير إلى أن المجتمع تجاوز الإلحاد والمادية وسيعود إلى الربوبية. لقد تأثر بنقد الفلاسفة للدين، وبخاصة روسو، وبحسب روبسبير، لم يكن الدين الجديد متعصبًا مثل الكاثوليكية التي كان يمثلها رجال الدين. كما كان يعتقد أن ثروة الكنيسة ملك للشعب.

لفهم معاداة روبسبير للكاثوليكية، علينا أن نتتبع خلفية مؤسسة الكنيسة الكاثوليكية ومكانتها في فرنسا. فقد اعترف روبسبير في شهادته أمام نادي اليعاقبة بأنه لم يكن يمارس الكاثوليكية، وكتب في مذكراته أنه كان يعتقد أن الفرنسيين شعب مختار إلهيًا، وأنه يؤمن بـ "رؤية كارثية للتاريخ، ومطلقية أخلاقية".

كان لديه "منظور مانوي" يؤمن بالخير المطلق والشر المطلق. وفي خطابه المعنون بـ: "حول أعداء الأمة" قال: "لقد كانوا يأملون ذات مرة في النجاح في تجويع الشعب

الفرنسي؛ الشعب الفرنسي لا يزال على قيد الحياة وسينجو من جميع أعدائه". وتساءل: "ما المورد المتبقي لهم إذن؟" وأجاب: "الاغتيال".

الكنيسة والدولة في فرنسا:

تأسَّست العلاقة الوثيقة بين الملكية الفرنسية والكنيسة الكاثوليكية خلال عهد شارلمان (توفي عام 814)، الذي كان أول من حصل على تتويج بابوي في عام 800. وأصبحت الكنيسة ثرية للغاية. وأدت عوامل إلى "العداء الشديد تجاه الكنيسة الكاثوليكية خلال الثورة الفرنسية (1789) وما تلاها":

- **التحالف بين الكنيسة والنبلاء.**
- **اضطهاد الأقليات الدينية.**
- **احتكار الكنيسة لمختلف المؤسسات.**

واجهت الكنيسة في القرن 18 تحديات عديدة حيث تعرضت لانتقادات فلاسفة عصر التنوير مثقفيه. وبحلول وقت اندلاع "الثورة الفرنسية"، كان الناس يدركون بالفعل أوجه القصور لدى الكنيسة والملك. لذلك لم يكن من المفاجئ أن يكون الكهنة الكاثوليك أول ضحايا الثورة. وبحسب الرحالة والشاهد العيان على الأيام الأولى للثورة، آرثر يونغ، الذي كتب عمله في 1792، بعنوان: "رحلات في فرنسا خلال الأعوام 1787، 1788، 1789"، كانت فرنسا مجتمعًا منقسمًا بين الطبقة المتميزة وعامة الشعب.

مع ارتفاع أسعار الخبز، بدأت الثورات تنتشر في كل مكان. أثار الملك والنبلاء غضب الشعب بإسرافهم. واستمر النبلاء ورجال الدين في رفض الانضمام إلى عامة الشعب في البرلمان، ورأوا أن لهم الحق في الاستئناف لدى الملك لحل الطبقات الاجتماعية. وقد نشرت صحيفة "ذا تايمز" في 2 أغسطس 1794 قائمة بالعديد من الأحكام التي فرضتها الحكومة الفرنسية على شعبها. ونص أحد هذه الأحكام على أنه بينما ستتم ممارسة العبادة الدينية كالمعتاد "يجب إعدام جميع الكهنة والأساقفة الذين يقيمون القداس".

وصدرت هذه الأحكام بعد 3 أشهر من بدء عبادة الكائن الأسمى في 7 مايو. ورغم أن معظم الفلاسفة دعوا إلى الإصلاح بدلًا من تدمير الكنيسة، إلا أن انتقاداتهم شجعت على تنامي العداء لرجال الدين. وأشار ألكسيس دو توكفيل، الأرستقراطي والدبلوماسي الفرنسي، في عمله غير المكتمل: "النظام القديم والثورة"، إلى أن المسيحية كانت مكروهة، ليس لأن الكهنة افترضوا تنظيم شؤون العالم الآخر، بل لأنهم كانوا ملاك أراضٍ، وإقطاعيين، وحاملي عشور، ومديرين في هذا الشأن.

ورغم دعاية الفلاسفة ضد الدين، إلا أن الرأي العام ظل متأثرًا بالمعتقدات الدينية. كان روبسبير، شأنه شأن الثوار الآخرين، يعتقد أنه من العدل الاستيلاء على ممتلكات الكنيسة لتخفيف الصعوبات المالية التي تواجهها الأمة. أشار روبسبير إلى أن الأمن العام هو القانون الأسمى، وأن الثورة لا يمكن أن تخضع "للقوانين نفسها التي تنظم المسار السلمي للحياة المدنية".

قال روبسبير: "يجب علينا أن نميز ... الإنسانية الحقيقية، التي لا تنظر إلا إلى الصالح العام، والتي تعرف كيف تنتصر على أكثر المشاعر حيوية من التقوى، عن ذلك الضعف الذي يتمثل في الحساسية تجاه الفرد، والوحشية تجاه المجتمع".

في 27 نوفمبر 1790، أصدرت الجمعية الوطنية "مرسومًا خطيرًا"، دعا الأساقفة والقساوسة والوكلاء إلى أداء اليمين الدستورية في غضون أسبوع. وإذا قاوموا، فسيُحرَمون من مناصبهم الكنسية. وإذا خالفوا القسم، فسيحاكمون بتهمة "الإخلال بالسلام". وقد اتفق اجتماع ضم جميع الأساقفة في فرنسا على ألا يؤدوا اليمين الدستورية للدستور الثوري الجديد الذي سلبهم السيطرة على الكنائس. بسبب الضغوط المفروضة على رجال الدين، ترك رجال الدين المتمردون معظم الرعايا بدون كاهن. واستخدمت قوات الحرس الوطني العنف لإجبار الناس على الالتزام بالقواعد.

وفي الواقع، من تلك الحقبة، كان هناك تقرير شاهد عيان من تاجر أمريكي يدعى جون فرانسيس، سافر إلى مدن عدة في مقدمتها باريس في يوليو 1792. وفي ذلك العام، أشار إلى وجود تجاوزات في العلمنة مع مرسوم الدستور المدني لرجال الدين الذي كان يهدف إلى إخضاع رجال الدين للأمة. وصف استياء الكاثوليك من الثورة والثوار بالقول إن "الانقسامات المجتمعية" كانت نتيجة القسم الكهنوتي الإلزامي الذي دفع الكاثوليك إلى تعليم "الأطفال أنفسهم [...] احتقار الكهنة الجدد، وأن يتحملوا غضب الله بدلًا من

تقديم اعترافهم المفترض لأولئك الذين يؤدون الخدمة العامة الآن". في باريس، دفع رجال الدين الذين عارضوا الثورة ثمنًا باهظًا لآرائهم، خلال "مذابح سبتمبر" عام 1792.

في الأيام الأولى من سبتمبر 1792، ساد الخوف في باريس من القوات البروسية والنمساوية التي كانت تقترب ساعيةً إنقاذ الملك. في ظل هذه الأجواء من الذعر، وقعت مجازر سبتمبر. أفاد دبلوماسي بريطاني في باريس في برقياته إلى لندن عن التجاوزات التي ارتكبها حشد غاضب ضد الكهنة. قُتل الكهنة المقاومون، الذين رفضوا أداء قسم الولاء للدستور، أثناء نقلهم في 6 عربات متجهة إلى سجن الدير. شتم الناس الكهنة، وقام أشخاص عنيفون بسحبهم إلى الشارع وقتلهم بوحشية قرب بوابة السجن.

لذلك كان معظم ضحايا مذابح سبتمبر 1792 من الكهنة، الذين كانوا يُنظر إليهم على أنهم جزء من العالم القديم للأرستقراطية والثورة المضادة. ابتداءً من الثاني من سبتمبر وفي الأيام الأربعة التالية، قُتل ما بين 1100 و 1400 شخص. وكان بينهم نبلاء ورجال دين متمردون.

استقطب اليعاقبة انتباه الفرنسيين بأيديولوجيتهم القائمة على الفضيلة السياسية، ولم تكن حكرًا على قادة اليعاقبة، لكنهم كانوا ملتزمين بها. نبع نجاح روبسبير من مصداقيته "في إقناع جمهوره الثوري بأصالة التزامه ومعتقداته السياسية"، وزعم خصومه أنه كان مخادعًا، وطموحًا للسلطة. أصبح الحزب الذي وقف مع روبسبير يُعرف باسم المونتانيارد، بينما قاد بريسو أولئك الذين

عارضوه، وأصبحوا يُعرفون باسم: الجيروندیون. اختلف الطرفان حول مسألة الحرب مع الجيوش الأوروبية التي استعدت لغزو فرنسا وإعادة السلطة الملكية إليها. ومع استمرار الحرب، بدأت الجماعات المتناحرة، الجيروندیون واليعاقبة، في اتهام بعضها البعض بالفساد.

بعد وفاة الملك في يناير 1793، أصبح روبسبير ورفاقه الثوريون أكثر تطرفًا وانقلبوا على الجيروندیين. بدأت الثورة في المقاطعات، من مرسيليا إلى تولون، في مارس 1793. وكان يُنظر إلى الانتفاضة في فانديه على أنها انتفاضة نيابة عن الملكيين و"المتعصبين" الكاثوليك. لقد كانت حربًا أهلية هددت وجود الجمهورية نفسها. أعرب الفيندیون عن أسفهم لتدمير النظام القديم ورغبوا في إعادته، ولم يعترفوا بالدستور المدني لرجال الدين. لقد استاؤوا من الحكومة الثورية التي عزلت كهنتهم وفشلت في تلبية مصالحهم، ولذلك سعوا إلى إسقاط هذه الحكومة العلمانية. وقد أدى تورط الكهنة في ثورات لا فانديه وليون إلى زيادة القسوة ضد رجال الدين. لقد تم اعتُبِروا "العملاء الرئيسين للثورة المضادة في الداخل والخارج".

أدى مجرد الشك إلى محاكمات ونفي وإعدام المشتبه بهم، والبعض كان من المفترض أن تقوم اللجنة بترحيلهم، ولاحقًا، حكمت عليهم بالإعدام "لجنة السلامة العامة"، التي كانت تحت سيطرة روبسبير. بموجب مرسوم لروبسبير، كُدِس الكهنة المتمردون على متن قوارب ليتم إغراقهم أو إرسالهم إلى المقصلة. أصبحت خطابات روبسبير خلال شهر أبريل 1793 أكثر راديكالية. وفي كلمته أمام

اليعاقبة، قال روبسبير: "أطلب من بلدية باريس أن تدعم بكل قوتها الحماسة الثورية لشعب باريس". أطلب من المحكمة الثورية أن تقوم بواجبها، وأن تعاقب أولئك الذين جدفوا على الجمهورية. كان يُنظر إلى الكهنة على أنهم أخطر أعداء الثورة. وأُطلقت حرب دموية ضدهم في منطقة لا فانديه لإنهاء مقاومتهم.

لقد اشتدت وتيرة الإرهاب، الذي بدأ في وقت سابق منذ مذابح سبتمبر تحت تأثير روبسبير، بحلول 27 يوليو 1793، عندما تولى روبسبير منصبه في "لجنة السلامة العامة". ردت إدارته بوحشية بالغة ضد سكان فاندي. قامت الحكومة بالانتقام من الكهنة والشعب الذي دعم المتمردين. أُرسلت قوات الجنرال تورو للقضاء على المتمردين من خلال تنفيذ عملية الأرض المحروقة في منطقة فانديه. وشمل سلوكهم الوحشي ضد هذه المنطقة المسيحية الاغتصاب والإعدام والتعذيب.

في 1793، قام جان كلود بينابين، المفوض اليعقوبي لمنطقة ماين ولوار، بزيارة غرب فرنسا واتخذ إجراءات ضد المتمردين في منطقة فانديه. تضمن تقريره الذي صدر بنهاية عام 1793 جميع أنواع الأعمال الوحشية التي ارتكبت ضد المدنيين في فانديه:

تُستخدم هنا طريقة مختلفة تمامًا للتخلص من هذه المجموعة البغيضة. نضع هؤلاء الأوغاد في قوارب ثم نغرقها في القاع".

في الحقيقة، إذا كان المتمردون قد اشتكوا أحيانًا من الموت جوعًا، فلا يمكنهم على الأقل الشكوى من الموت

عطشًا. اليوم، سقينا حوالي 1200 شخص. لا أعرف من ابتكر هذا النوع من العقاب، لكنه أسرع بكثير من المقصلة، التي يبدو أنها مصممة الآن لقطع رؤوس النبلاء والكهنة. وقد أبلغ بوراسو، العضو السابق في المجلس الأعلى لشاتيون، عن تجاوزات روبسبير فيما يتعلق بسكان منطقة فانديه، ووصف الوضع قائلًا:

"...عاد النهب والاستيلاء على الماشية والحبوب والسخرة والتفتيش والسجن التعسفي والقتل والاغتصاب بضراوة تضاهي ضراوة روبسبير".

وكأن هذه الفظائع لم تكن كافية، فقد أصدر "المؤتمر الوطني" قانون المشتبه بهم في 17 سبتمبر 1793 لتسهيل السجن. وأنشأ القانون لجان مراقبة في كل بلدية وقسم فرنسي، وكلفهم بالعثور على "مشتبه بهم" لكونهم معادين للثورة.

منح القانون الجديد "سلطة مطلقة للمحاكم الثورية في جميع أنحاء البلاد للتصرف بقسوة أكبر ضد المشتبه بهم"، ما أدى إلى أحكام إعدام تلقائية. وكان 330 كاهنًا ضحايا لهذا القانون. وبحلول 10 أكتوبر 1793، أشار روبسبير إلى أن هذا المرسوم سيظل ساريًا حتى إحلال السلام. سعى روبسبير بسرعة إلى إزالة الدين التقليدي من المجتمع الفرنسي وإقامة نظام إلهي ثوري يخدم المؤمنين بدلًا مما اعتبره خرافاتهم المسيحية.

وفي 26 نوفمبر 1793، حظر مجلس الكومونة([12]) جميع الأديان، وضمن ذلك المسيحية، باستثناء "عبادة العقل" التي استمرت في ظل الربوبية. كان الأمر أيضًا، بمعنى ما، ملحدًا، إذ لم يعد يُعبد إله الكتاب المقدس بينما استمرت "عبادة العقل". وفي 1793، دعا سكرتير القسم الثوري "دي بيك"، الكاتب الفرنسي والناشط السياسي،

([12]) كومونة باريس (أو الثورة الفرنسية الرابعة). حكومة اشتراكية راديكالية معادية للكنيسة أدارت باريس فترة قصيرة من 18 مارس 1871 وحتى 28 مايو من العام ذاته، كنتيجة لاجتياح الجيش البروسي المدينة، واعتبرت أول ثورة اشتراكية في العصر الحديث قبل أن تنتهي بحمام دم خلال ما سمي "الأسبوع الدامي." "على عكس أحداث الثورة الفرنسية عام 1789، لم يتم دمج الكومونة بشكل حقيقي في القصة الوطنية". كانت الكومونة متوحشة، فوضوية ويسيطر عليها الفقراء الباريسيون، مكروهة من البرجوازية الليبرالية وكذلك من قبل المحافظين والملكيين من اليمين. في يناير 1871، استسلمت فرنسا للجيش البروسي بقيادة رئيس وزراء المملكة أوتو فون بسمارك، بعد حصار دام 3 أشهر جعل باريس تجثو على ركبتيها. مع انهيار الإمبراطورية الثانية بفرنسا انتخبت حكومة جديدة مؤيدة للملكية للتفاوض مع الألمان. لكن وسط الفوضى والإذلال الوطني، رفض النصف الأفقر من باريس التخلي عن أسلحته وقرر الانتفاض على جيشه وحكومته. وفي 18 مارس استولى الثوار على المباني الحكومية. وفر الرئيس المنتخب. استمرت الكومونة، المحاصرة من جميع الجوانب، لمدة 72 يوما مضطربة قبل أن يتم قمعها بوحشية. وكتب الروائي الشهير إميل زولا "لم يحدث من قبل أن وقعت أزمة أكثر فظاعة في مدينة عظيمة". لقي حتفه على المتاريس ما لا يقل عن 8 آلاف من الكومونة، بمن فيهم العديد من النساء والأطفال، أو أطلق عليهم النار والرصاص الحي خلال "الأسبوع الدموي" من 21 إلى 28 مايو. ومع تصاعد أعمال العنف خارج نطاق السيطرة، قتل الكومونيون رئيس أساقفة باريس وأكثر من 50 رهينة آخرين، العديد منهم قساوسة. واستولت الأجيال القادمة من الشيوعيين على إرث التجربة الثورية التي هزت أوروبا. ووصف كارل ماركس الكومونة بأنها "النذير المجيد بمجتمع جديد" ورآها "المثال الأول لديكتاتورية الطبقة العاملة/البروليتاريا" في حين اعتبرها لينين بمثابة مقدمة للثورة الروسية.

الماركيز دي ساد([13])، إلى تحويل الكنائس إلى معابد لـ "عبادة العقل".

كان لديه هامش من الحرية لتقديم مثل هذا الالتماس لأن روبسبير كان معارضًا للمسيحية التقليدية. كتب دي ساد في عريضته: إن الحكومة الجمهورية وحدها هي التي تستطيع، بتحطيمها للصولجان، أن تقضي بضربة واحدة على الدين، بخناجره المقدسة. ولا شك في أنه يجب علينا تبني أخلاقيات جديدة، ودين جديد.

كانت هذه عريضة مناهضة للمسيحية لم تتعارض مع مبادئ روبسبير لإقامة دين جديد غير مرتبط بالمسيحية "الخرافية". وتأسيس "عبادة الكائن الأسمى" سمح بالهجمات على المسيحية لأن روبسبير أدخل عناصر ربوبية وإلحادية في طائفته الجديدة. واستمرت حملة نزع

([13]) الكاتب دوناتا ألفونس فرانسوا دى ساد، المشهور بـ "الماركيز دى ساد"، أرستقراطي ثوري فرنسي وروائي، كانت رواياته متحررة من القوانين الأخلاقية كافة، وتستكشف مواضيع وتخيلات بشرية دفينة مثيرة للجدل وأحيانا للاستهجان في أعماق النفس البشرية من قبيل البهيمية. ولد فى باريس في 2 يونيو 1740، قضى الماركيز دى ساد حياته فى إطار غريب، كانت نهايته فى السجن أيضًا، بعدما سجن فى مصحة "شارنتون"، بعدما وضعه وزير الداخلية فى غرفة منعزلة، ومنع تزويده بالحبر والورق، إلى جانب ضجره بتحقيقات المسئولين الحكوميين لدرجة أن "نابليون" رأى وجوب استمرار عزله فى المصحة، فتدهورت صحته للغاية، ومات فى 2 ديسمبر 1841. احتجز ساد فى عدة سجون فى فترات متقطعة لنحو 32 عامًا، كما احتجز فى مصحة أمراض عقلية. كتب معظم كتاباته أثناء سجنه. واشتُق مصطلح السادية من اسمه ليصبح مرادفًا فى اللغة للعنف والألم والدموية. اشتهر ساد بفضائحه وأفعاله الماجنة واستئجاره العاهرات، كما اتهم بالكفر وكانت تهمة خطيرة آنذاك. وقد ظلت كتاباته ممنوعة فى فرنسا حتى ستينيات القرن 20.

المسيحية كما كانت من قبل، ما عرّض وجود المسيحية وأولئك الذين يعتنقونها للخطر.

عملية نزع المسيحية من فرنسا بدأت في 1793 أولًا بـ "عبادة العقل"، ثم عبادة "الكائن الأسمى". إن الخطر الذي واجهته المسيحية في زمن العقل و"الكائن الأسمى" أبرز حلقة في التاريخ الديني للثورة الفرنسية. كانت المسيحية بأكملها هي المعنية، وكانت ساعة مهيبة، عندما أُعلِن قيام فرنسا الجديدة. وطبيعة روبسبير المتشككة ستجعله ينقلب سريعًا على المتطرفين الذين يسعون إلى نزع المسيحية. لذلك سعى إلى التفوق عليهم لأنهم كانوا متطرفين للغاية بالنسبة لذوقه.

كان روبسبير متلاعبًا بارعًا عندما يتعلق الأمر بالتأثير في الرأي العام ضد المتطرفين الذين ينبذون المسيحية، وقد اعتبرهم يهددون بقاء الجمهورية وينفرون غالبية الشعب الذين سينضمون بسهولة إلى الثورة المضادة. كان روبسبير يريد إحلال الإله الربوبي محل الإله المسيحي لأنه لاحظ أن الناس بطبيعتهم يجب أن يؤمنوا بشيء ما. أدرك روبسبير قوة الدين وسيطرته على الناس، ولذلك سعى إلى تأسيس دين جديد يمكن أن يصبح مصدرًا جديدًا للسيطرة الاجتماعية.

كان تأسيس طائفة "الكائن الأسمى"، ذات الألوهية الغامضة، نتيجة "التأرجح بين الإلحاد والمحافظة". ورغم كونه مناهضًا لرجال الدين، سعى روبسبير إلى إدخال دين جمهوري يتبناه الجميع. كتب روبسبير:

"إن من يستطيع أن يحل محل الألوهية في نظام الحياة الاجتماعية، هو في نظري عبقري فذ؛ أما من لا يحل محلها، ولا يحلم إلا بطردها من عقول الناس، فهو في نظري..."، "غبي ومنحرف بشكل استثنائي".

مع عبادة "الكائن الأسمى"، افترض روبسبير أن الناس سيتبنون الفضيلة بشكل طبيعي، وبالتالي شرع في وضع "مجموعة مبادئ واحتفالات توحد جميع المواطنين، بغض النظر عن معتقداتهم الدينية، ولمواجهة حركة "نزع المسيحية" المدمرة التي أدت إلى ابتعاد العديد من المؤمنين عن الثورة".

وعلى خطى "جمهورية روسو" للفضيلة التي كانت تشك في عصر التنوير، سعى روبسبير إلى اغتنام الفرصة لتطوير نسخته الخاصة من التنوير. لم يكن لدى روبسبير أي تحفظات بشأن التجاوزات التي ارتكبت ضد المسيحيين بعد قمعه الوحشي لمقاومة الفانديه. بحسب تقرير كتبه والد الكاتب الفرنسي ألكسندر دوما بشأن تدمير فانديه، قال: ...

لقد عوملت مدينة فانديه تمامًا مثل مدينة تعرضت للهجوم: فقد نهب كل شيء فيها وسُلِب وحُرِق. لا يفهم الجنود لماذا مُنعوا اليوم من فعل ما فعلوه بالأمس. لن تجد حتى بين الضباط العموميين أية وسيلة لإعادة الجنود العاديين إلى حب العدالة والسلوك اللائق.

وفي خطاب ألقاه أمام المؤتمر الوطني في 5 فبراير 1794، برر روبسبير عهد الإرهاب.

أشاد روبسبير بالمبادئ الجمهورية المتمثلة في الفضيلة وإرهاب أية معارضة. وأشار إلى أن الإرهاب كان ضروريًا لأنه أنقذ الجمهورية، وأشار إلى أن مثل هذه السياسة كانت ضرورية دائمًا لمكافحة "الأعداء الذين يخربونها من الداخل، حتى عندما أخضعت أعداءها الظاهرين". وفي خطاب روبسبير "حول المبادئ الأخلاقية والسياسية للسياسة الداخلية"، برر استخدام الإرهاب ضد أي شخص يعارض "فضيلة" الجمهورية. لم يكن أحد آمنًا في جمهورية روبسبير، باستثناء أولئك الذين – بأوامر روبسبير – قبلوا الجمهورية و"الكائن الأسمى".

خلال فترة الإرهاب (1793-1794)، انتصرت العناصر المعادية للكاثوليكية والمعادية للدين على التقليديين ونجحت في تدمير الكنائس والأديرة. وقد أكد ذلك تقرير من رودولف رويس في 1888 أشار إلى أن المباني الكاثوليكية في ستراسبورغ دمرت أو تم تحويلها إلى استخدامات أخرى، تحولت إلى مخازن علف وورش عمل عسكرية وحتى إسطبلات، بين عامي 1793 و1794). في الواقع، سعى روبسبير إلى تحويل الكنائس إلى معابد لإلهه، "الكائن الأسمى".

(قبل أيام قليلة من سقوط روبسبير، كانت كاتدرائية ستراسبورغ ملاذًا للكائن الأسمى، وبعد 6 سنوات فقط، في السنة الأخيرة من القرن 18، أصبحت الكنيسة التي تعود للعصور الوسطى كنيسة مسيحية مرة أخرى). وحدث

الشيء نفسه لكنائس أخرى في جميع أنحاء فرنسا. المتشددون في نزع المسيحية رجال الدين على التخلي عن أساليبهم القديمة في الاستقلال وعدم الخضوع إلا للبابا.

هدف روبسبير الرئيس من نجاح الثورة كان إرساء الفضيلة، التي لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال إقامة الدين المدني واحتفالات "الكائن الأسمى". وقد كان روبسبير مقتنعًا بأنه لكي ينجح هذا الأمر، يجب أن تموت المسيحية ببطء وسلاسة دون أية إمكانية لإحيائها. لقد حذر من خطر المسيحية، وأن المتطرفين الذين يسعون إلى قمعها فورًا هم متعصبون بالقدر نفسه. قال: "التعصب حيوان شرس ومتقلب؛ لقد فرّ أمام العقل". بعد أن هزم روبسبير المتطرفين الذين ناهضوا المسيحية، وروّجوا لعبادات منافسة، كان يأمل أن يوحد مهرجان "الكائن الأسمى" الناس من مختلف الأديان.

روبسبير ورفيقه المقرب الآخر، اليعقوبي الراديكالي جورج كوثون، روجا لبرنامجهما الخاص بإزالة المسيحية، مدعين أنهما ليسا ملحدين مثل الآخرين وقدموا ضمانات بالتسامح مع الديانات الأخرى للكاثوليك الملتزمين بالقانون. استخدم روبسبير حيلة لطمأنة الشعب بشأن تسامحه مع الأديان لأنه افترض أن المسيحية ستختفي من فرنسا على المدى الطويل.

ولهذا السبب، كان نزعه للمسيحية أكثر تدميرًا من نزع منافسيه. لم يكن يريد أن تبقى أي آثار للمسيحية. كان الهدف السياسي الرئيس لروبسبير من تأسيس "روح دينية جديدة" الحد من نفوذ الكنيسة. وكان من المفترض أن

تؤدي عبادة "الكائن الأسمى" دورًا سياسيًا. ونتيجة ذلك، استطاعت عبادة "الكائن الأسمى" أن تتبنى القيم الاجتماعية والسياسية للجمهورية الجديدة تمامًا كما تبنت الكنيسة الكاثوليكية قيم النظام القديم. وهكذا استخدم الدين كأداة سياسية، مع توفير الطقوس الروحية التي يحتاجها الناس في الوقت نفسه ومنحهم الراحة كما في أديان الماضي. وهكذا كان المقصود من عبادة "الكائن الأسمى" أن تكون عالمية بحيث تجمع الجميع، بمن فيهم الموسوعيون "الملحدون". كان روبسبير يأمل أن تتمكن هذه العبادة من تحرير جميع الناس من "ضيق نطاق المعبد وجمود العقيدة". والتخلي عن الأديان التاريخية لصالح الدين الطبيعي، وأخيرًا وقبل كل شيء، نقل الشعور الديني من مجال الوجود الفردي إلى مجال الوجود الاجتماعي.

المؤلفون: لامارتين وميشيليه وكينيه، انتقدوا محاولة روبسبير إنشاء دين دولة جديد وربطوا عبادة "الكائن الأسمى" بديكتاتوريته. وحتى قبل أن يقدم عبادة "الكائن الأسمى"، برر روبسبير استخدام العنف السياسي لإقامة نظام ديكتاتوري. وهو قال:

"أخضعوا أعداء الحرية بالإرهاب، وستكونون على حق، بصفتكم مؤسسي الجمهورية. حكومة الثورة هي استبداد الحرية في مواجهة الطغيان".

<u>الدين الرسمي للدولة:</u>

هكذا أنشأ روبسبير دينًا استبداديًا في ظل ديكتاتوريته سعى إلى القضاء على المسيحية نهائيًا. والتقويم الجمهوري

الذي اعتمد في أكتوبر 1793 كان "أكثر الأعمال المعادية للمسيحية" التي أقرها المؤتمر، وكان التقويم بمنزلة هجوم على عادات وتقاليد الفرنسيين ومحاولة لتدمير الكاثوليكية. كان روبسبير مهتمًا في المقام الأول بكيفية السيطرة على الرأي العام والدين. لذلك رأى أنه إذا تُرك الدين حرًا من سيطرة الحكومة، فسوف تنمو "ألف جماعة".

كان يُنظر إلى عبادة "الكائن الأسمى" كبديل للكاثوليكية، باعتبارها دين الدولة. كانت ديانة بلا كهنة، وكانت "الطبيعة" (بحسب روبسبير) الكاهن الوحيد لـ "الكائن الأسمى". ومثل روسو، اعتقد روبسبير أن صلاح الإنسان يتجلى في الإيمان بالدين الطبيعي. وهكذا، كانت عبادة "الكائن الأسمى" عند روبسبير مفهومًا دينيًا علمانيًا أكد تحقيق المثل الثورية للعدالة والعقل باعتبارها "أعلى أشكال التفكير". كان حلم روبسبير تأسيس جمهورية روسو للفضيلة من خلال عبادة دينه الربوبي. ونصت المادة الخامسة على إقامة المهرجانات الدينية العلمانية لـ "عبادة الكائن الأسمى":

"ستُسمى هذه المهرجانات بأسماء الأحداث المجيدة لثورتنا، والفضائل التي هي أعز الناس على قلوبهم، والأكثر فائدة، وأهم نعم الطبيعة". منذ 7 مايو 1794، وافق "المؤتمر الوطني" على عبادة "الكائن الأسمى" وحلت محل الكاثوليكية كدين رسمي لفرنسا. تم تحديد "الكائن الأسمى" على أنه العدل ويشار إليه بضمير المذكر (هو) اتباعًا للتقاليد الكاثوليكية الدينية في مخاطبة الله بصيغة المذكر. وكان روبسبير يأمل أن "يأتي اليوم الذي سينعم فيه الشعب

الفرنسي بالسعادة الأبدية، والذي كرّسه للخالق الأسمى". وبالنسبة لروبسبير، فإن "الكائن الأسمى" شخصية أسطورية تجلب الحكمة والعدالة والمساواة لشعب فرنسا.

لقد كانت فرنسا جديدة رفضت مباركة المسيحية الأرثوذكسية، وبدلًا من ذلك تبنت عناصر دينية حديثة تتوافق مع "الرؤى الليبرالية لعصر العقل". كان روبسبير أول سياسي يؤسس الربوبية، دين الطبيعة، كدين للدولة. وأشار إلى أن الجمهوريين فقط هم الثوريون الحقيقيون، وأن الآخرين يجب أن يخضعوا للإرهاب لإنقاذ حريات جميع المواطنين.

خلال ربيع وصيف عام 1794، أنشأ روبسبير عبادة شخصية أظهرت استبداده، وتجلت عبادة شخصيته في فرض مفهومه للدين: عبادة "الكائن الأسمى". لقد أدرك الناس في النهاية كيف أصبح "مهووسًا أنانيًا"، وأدت طبيعته الاستبدادية إلى إعدامه. وكان جان لامبير تاليان أحد اليعاقبة الذين تآمروا ضد روبسبير. ألقى خطابًا في "المؤتمر الوطني" في 28 أغسطس 1794، كشف فيه عن مدى استخدام روبسبير لفكر الإرهاب كأيديولوجية ليصبح الزعيم بلا منازع. وقال:

"إن فن الإرهاب يتمثل في نصب فخ لكل خطوة، وجاسوس في كل منزل، وخائن في كل عائلة..."

"لا يحقق المرء شيئًا بقطع 20 رأسًا بالأمس إذا لم يكن مستعدًا لقطع 30 رأسًا اليوم، و60 رأسًا غدًا".

ووفقًا لتاليان ، فإن هذه الطريقة في الحكم قسمت المجتمع إلى قسمين:

"أولئك الذين يخافون، وأولئك الذين يجعلون الآخرين يخافون"، وروبسبير استخدم الإرهاب لإخضاع الجميع لإرادته. كانت الفضيلة تعني لروبسبير الدفاع عن الجمهورية الفرنسية ضد أعدائها وإظهار الوطنية. واستخدم روبسبير الدعاية للتأثير في الرأي العام فيما يتعلق بمذهبه الجديد بشأن السيادة الوطنية. كان يرى نفسه فوق البشر، وظن رفاقه الثوار أنه قد جن.

"...سعى إلى تضليل الرأي العام ومنع تعليم الشعب، وإفساد الأخلاق وتلويث الضمير العام، وإضعاف قوة ونقاء المبادئ الثورية والجمهورية، أو عرقلة تقدمها، سواء من خلال كتابات معادية للثورة أو خبيثة، أو من خلال أي مكيدة أخرى".

واختير أعضاء هيئة المحلفين الذين أصدروا الأحكام بعناية فائقة. أدى هذا القانون إلى الإرهاب الكبير الذي أدى إلى زيادة بنسبة 80٪ في الإدانات. في باريس، أُعدِم 1300 شخص في شهر واحد. وهذا أمر بدهي، وبإمكان المرء أن يقرأ من نص قانون 22 برايريال، حيث إن "لجنة السلامة العامة" الجهة الوحيدة التي كان لها الكلمة الأخيرة.

يقول النص:

لا يجوز للمدعي العام، من تلقاء نفسه، أن يفرج عن متهم أُحيل إلى المحكمة، أو متهم تسبب بنفسه في مثوله أمامها؛ وفي حالة غياب أساس للاتهام أمام المحكمة، فعليه أن يقدم تقريرًا مكتوبًا وموضحًا بالأسباب إلى مجلس النواب، الذي يبت في الأمر. لكن لا يجوز إخلاء سبيل أي متهم من المحاكمة قبل إبلاغ

قرار الدائرة إلى لجان السلامة العامة والأمن العام، التي ستقوم بدراسته.

لقد تورطت مؤسسة روبسبير الثورية لـ "الكائن الأسمى" في الإرهاب لأنه وفقًا للربوبية، فإن "الكائن الأسمى" وحده الجدير بالعبادة، والأديان الأخرى زائفة. و"الكائن الأسمى" اختلف تمامًا عن نظيره المسيحي حيث كان يُنظر إليه كـ "مفهوم ميتافيزيقي مجرد"، وكان أيضًا "متجسدًا" في الشمس. وبحسب تشارلز فرانسوا دوبوي، عضو "المؤتمر الوطني" الذي قام بإصلاح التقويم، كانت "عبادة الشمس"([14]) دين الحضارات القديمة. أصبح الحفاظ على الجمهورية قانونًا جديدًا من قوانين الطبيعة في عبادة "الكائن الأسمى". وهكذا سعت عبادة "الكائن الأسمى" إلى فرض العقوبة على "أولئك الذين انتهكوا قوانين الطبيعة" وبررت الإرهاب ضد أولئك الذين هددوا الدولة.

([14]) (شمس) أول الأجرام السماوية التي لفتت نظر البشر، المعبودة القديمة والأسبق عند العرب، وحسب الأسطورة العربية القديمة تزوجت (شمس) من الإله قمر، وأنجبت الزهرة (عثتار)، فتكونت العائلة الثالوثية السماوية، وعبدها العرب لقرون مديدة. أما الذبائح والقرابين من الوعول والحمر الوحشية والغزلان فكانت توجّه إليها استمالة واسترضاءً لها وإيمانًا بكونها كائنًا روحيًا تدبر وتدير سير الطبيعة وسير حياة الإنسان. وتألّهت شمس عند التدمريين، وعبدها البابليون والكنعانيون، وأشير في مواضع عديدة من العهد القديم إلى عبادة الشمس بين العبرانيين، وقد تكون الإلهة الكبرى عند النبط. و(شمس) مسقطها الأول (سبأ) في اليمن، حيث الملكة بلقيس تسجد وقومها للشمس – كما جاء في سورة النمل على لسان الهدهد في حديثه مع سليمان (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله).

موقع جريدة الاتحاد الإمارتية:

https://url-shortener.me/DQJY

ولم يكن أمام المسيحيين المضطهدين خيار سوى الانضمام إلى قوات الثورة المضادة. وفي نظر روبسبير، فإن الرسالة الأخلاقية للمسيحية مفيدة لدينه الجديد الذي ينبغي على فرنسا الترويج له. لقد فقدت المسيحية مصداقيتها في نظره، حيث قال:

"لا شك في أن إنجيل العقل والحرية سيصبح قريبًا إنجيل الكون".

كانت طائفة روبسبير الجديدة، مزيجًا من الإلحاد التنويري الراديكالي لسبينوزا ولا ميتري وغيرهما، والمحافظة التي سادت في عهد النظام القديم. وكانت النتيجة عبادة "الكائن الأسمى" بإلهها الغامض. وقد أكد روبسبير ضرورة وجود دين مدني يخدم الجمهورية. وقد قوبل هذا التحول بالمقاومة وأدى إلى استمرار عهد الإرهاب الذي بدأ منذ عام 1793 ضد من انتقدوا طائفة روبسبير الجديدة. وافترض روبسبير أنه مع بداية العصر الجديد، سيحدث انتقال بين الدين القديم والدين الجديد.

كان عداء روبسبير للدين واضحًا، وقد انجرف وراء سلطاته الاستثنائية وهو يفرض عقيدته الجديدة ويقمع أي شخص يعارض وجهة نظره. وهكذا تخيل أنه كان يقود فرنسا إلى عصر مثالي بعيدًا عن عصر الكنيسة الخرافي. بدأت عملية علمنة فرنسا في عهد روبسبير بقمع أجراس الكنائس، وتحويل الأديرة إلى سجون، والكنائس إلى مخازن، أو معابد للعقل.

- لم يعد يُسمح للكهنة بتعميد الأطفال، وتولت الجمعيات الشعبية دورها في التعميد.

- **لم يكن بإمكان الكهنة إجراء مراسم الزواج.**
- **لم يُسمح بأي مظهر من مظاهر الإيمان الديني في الجنازات.**
- **لم يُسمح بإلقاء أي محاضرات عن الحياة الآخرة لأن ذلك سيجعل المواطنين ينسون واجباتهم الجمهورية.**
- **حلت الاحتفالات العلمانية محل الشعائر الدينية.**

وفي النهاية، أدينت راهابات لأنهن كرسن حياتهن للدين بدلًا من الثورة، ووصفهن المدعي العام بأنهن "متعصبات تحديدًا بسبب دينهن، وأن دينهن جعلهن (وفقًا للادعاء) أعداء للحرية العامة"، وحُكم على الراهبات بالإعدام في 17 يوليو 1794.

وفي تحليله لعصر الإرهاب، تبنى بارينغتون مور المنظور الماركسي الذي يعتقد أن "قدرًا كبيرًا من القوة الوحشية والدموية كان ضروريًا على أي حال للسيطرة على أعداء الثورة اللدودين وتدميرهم"، ولم يكن لدى روبسبير أي سياسة أخرى سوى استخدام القوة. وقد أصر روبسبير في خطاباته على أن نجاح الثورة يعتمد على تدمير أعدائها في فرنسا. فكانت المقصلة هي الحل لجميع المشاكل الاجتماعية والاقتصادية. حتى اللحظة الأخيرة، كان روبسبير يعتقد أن "الثورة لم تكن عقابية بما فيه الكفاية تجاه أعدائها".

بدءًا من 20 سبتمبر 1794 جرت محاولة لإعادة "أعياد اليوم العاشر [للعقل] على أمل منافسة المسيحية"

لكنها فشلت. وبعد وفاة روبسبير، استمرت القيود المفروضة على الدين. في 21 فبراير 1795، أصدر بويسي دانغلاس مرسومًا بالفصل التام بين الكنيسة والدولة، ما يسمح بجميع أنواع العبادة الدينية في جميع أنحاء فرنسا.

الفصل الخامس:
محاكمة روبسبير

كان روبسبير مقتنعًا بأن إنجازات "الثورة الفرنسية في تأسيس مواطن جمهوري فاضل جديد كانت أعلى مثال ممكن. ولفرض هذه الأيديولوجية الجمهورية الجديدة، كان من الضروري لروبسبير القضاء على الدين التقليدي من خلال الإرهاب لأنه كان عقبة أمام الدين العلماني الحديث: عبادة "الكائن الأسمى". بسبب رؤيته لنفسه فوق القانون وفوق حكم الرجال الآخرين، انجرف روبسبير وراء إيمانه بنفسه كنبي لا يفسد، وأصبح عهده معروفًا بأنه أحلك فصول التاريخ الفرنسي الحديث.

بحسب بارينغتون مور الابن، كان روبسبير واضحًا بشأن هدف الثورة، لكن مُثُله المتعلقة بالحرية والمساواة في الثورة اعتبرها العديد من المفكرين المعاصرين مثالية. إن العجز عن إيجاد إجابات لمثل هذه المُثُل أجبر الثورة على مخالفة مُثُلها الإنسانية، الأمر الذي أدى إلى "مذبحة دموية سرعان ما ابتلعت قادتها أنفسهم". وبهذا المعنى، تم تبرير النتيجة الدموية للثورة باسم تدمير أعداء الثورة. وهكذا أشار مور إلى أن المأساة تكمن في حقيقة أنه "لم يكن لدى روبسبير ولا أي زعيم آخر أي سياسة سوى القوة".

شهدت فرنسا 3 برلمانات مختلفة منذ سقوط الباستيل وبداية عهد الإرهاب. كانت هذه الهيئات التشريعية هي:

- الجمعية التأسيسية.
- الجمعية التشريعية.
- المؤتمر الوطني.

لم يكن روبسبير نائبًا في "الجمعية التشريعية"، التي استمرت من أكتوبر 1791 حتى سبتمبر 1792. لكن خلال هذه الفترة اكتسب روبسبير شعبية واسعة. وخلال فترة انعقاد "الجمعية التشريعية"، تمكن من تعزيز شعبيته بين عامة الشعب الباريسي. كان روبسبير نشطًا طوال فترة الثورة، وهيمن على نادي اليعاقبة وكان نشطًا للغاية أيضًا في الجمعية. منذ البداية، في 1790، طالب بإنشاء محكمة وطنية، وستصبح فيما بعد المحكمة الثورية للحكم على الجرائم. وانتقد روبسبير ملك فرنسا لأنه كان يرمز إلى إيمان فرنسا بالكاثوليكية. وقد انتظر اللحظة المناسبة للقضاء على الملك وإقامة جمهوريته الربوبية.

بحلول نهاية المناقشات الدستورية في عام 1791، أصبح روبسبير متحدثًا بارزًا وكسب دعم سكان باريس لأنه ادعى أنه يتحدث نيابة عنهم. وبحسب كيفن لينش، بدأ روبسبير في دفع الجمعية "نحو تأسيس فرنسا كـ "جمهورية الفضيلة"". وأدت الثورة المضادة التي قادها المتمردون ضد الجمهورية الفرنسية إلى زيادة جنون العظمة لدى روبسبير.

لقد اقتنع بوجود "جواسيس في كل ركن من أركان المدينة وقاتلين مكلفين باغتيال الوطنيين".

كان روبسبير ناشطًا في "نادي اليعاقبة" منذ 1789، وخلال جلسات "الجمعية التشريعية"، تحدث روبسبير في نادي اليعاقبة، و"كان لناديه الأم في باريس نوادٍ "تابعة" في جميع أنحاء فرنسا". إن روبسبير هو الذي خان، في نهاية المطاف، مُثُل الثورة التي كان من المفترض أن تجلب الحرية للجميع، وتحولت الثورة في عهده إلى هجوم قاتل أودى بحياة آلاف المدنيين الأبرياء، الذين لم يكن ذنبهم سوى عدم اعتناقهم المعتقد نفسه الذي اعتنقه روبسبير واختلاف رأيهم عنه فيما يتعلق بالجمهورية. كان روبسبير مدفوعًا أيديولوجيًا برغبته في تشكيل فرنسا والفرنسيين بالطريقة التي يراها مناسبة، ونتيجة لذلك ارتكبت تجاوزات باسم الثورة. لقد أنشأ المحكمة الثورية قبل تشكيل "المؤتمر الوطني". وقد ثبت ارتباطه بفترة الإرهاب من خلال ترويجه لـ "محكمة 17 أغسطس" في أغسطس 1792، التي كُلِّفت بمحاكمة الثوار السياسيين "بدون استئناف وإعدام فوري للمذنبين". وبسبب نفوذه في "نادي اليعاقبة"، ازدادت قوة روبسبير في "الجمعية التأسيسية" وكومونة باريس. وبذلك تمكن من اغتصاب السلطة.

وبما أن قوة الشرطة السرية لروبسبير كانت موجودة قبل ظهور "المؤتمر الوطني" (20 سبتمبر 1792)، فإن المحكمة أصبحت مسؤولة فقط أمام روبسبير والكومونة، التي ألقت القبض على كل من اعترف بأنه كاهن. واقتحمت مجموعة غوغاء الكنيسة وبدأوا بقتل أي سجناء يمكنهم

العثور عليهم. وبحسب كايل أورتون، كان روبسبير حاضرًا في اجتماع الكومونة في 2 سبتمبر وكان له تأثير في الأحداث التي أدت إلى المجازر. وأصبح هذا يُعرف باسم مجازر سبتمبر، واتُهم روبسبير بالتحريض عليها لأنه كان مدعومًا من الغوغاء، في باريس، مركز الثورة.

كانت هيلين ماريا ويليامز روائية وشاعرة ومترجمة بريطانية للأعمال باللغة الفرنسية، عاشت في باريس وكتبت رسائل ونصوصًا نثرية، كما استضافت صالونات أدبية، حيث التقت بفلاسفة بينهم توماس باين، ودعمت قضايا جذرية مثل إلغاء العبودية و"الثورة الفرنسية"، بسبب دعمها للجيروندیين، سُجِنَت. وفي السجن، سُمح لها بالكتابة، ولم تكن راضية عن الطريقة التي قاد بها روبسبير الثورة، واصفة إياه بأنه "رأس عصابة المتآمرين. ولا يبدو أن جرائمه ناتجة عن عاطفة، بل عن خبث عميق وغير عادي، ويبدو أنه خُلق للتخريب والتدمير".

كان روبسبير "ديماغوجيًا وقحًا" في "الجمعية التشريعية"، وطالما افترى على أفضل الوطنيين، و"استبد بالجمعية الانتخابية في باريس، بكل حيل المؤامرة والترهيب". وبهذا المعنى، أشار كايل أورتون إلى أنه مذابح سبتمبر لا يمكن اعتبارها أمرًا تافهًا، "عند مقارنتها بصعود روبسبير في عام 1793 ليرأس عهد الإرهاب". وبحسب الباحث البريطاني سيمون شاما فإن مذابح سبتمبر الحدث الذي كشف أكثر من أي حدث آخر تقريبًا عن حقيقة مركزية لـ "الثورة الفرنسية": "اعتمادها على القتل المنظم لتحقيق غايات سياسية". فمهما كانت مبادئ فرنسا التي لا ملك لها

فاضلة، فإن قدرتها على كسب الولاء كانت تعتمد، منذ البداية، على مشهد الموت.

في البداية، كان مصطلح "الإرهاب" كما وصفه السياسي الفرنسي جان لامبير تالين في الفترة الثورية، يعني أن الحكومة الثورية انحرفت عن مسارها وقادت انقلابًا عسكريًا لقمع أعداء الدولة. مع دخول كلمة "الإرهاب" إلى المعجم السياسي الفرنسي، توسعت تدريجيًا "من طغيان روبسبير وقانون 22 بريريال الثاني، إلى السجن التعسفي، وهيمنة اللجنتين "العظيمتين"، ونفوذ نادي اليعاقبة". وفي وقت لاحق، شمل الإرهاب أيضًا "الإكراه الاقتصادي، ونزع المسيحية، والتخريب الثقافي". لقد تشكلت سياسات الجمهورية من قبل "نادي اليعاقبة"، والكومونة، وعدد قليل من أعضاء المؤتمر.

وقد برر روبسبير استخدام العنف بقوله: "هل تريدون ثورة دون ثورة؟"، وبحسب روبسبير فإن الملك "يجب أن يموت حتى يتمكن الوطن من العيش". وكان هدف الحكومة الجمهورية في 1793 إخراج الكهنة من الأراضي الفرنسية ونفيهم إلى صحراء ناميبيا أو غيانا. لم يكن بإمكان روبسبير أن يسمح لرجال الدين بالبقاء إذا أرادت فرنسا إقامة دين علماني جديد ليحل محل الكاثوليكية. وهكذا شكل رجال الدين عقبة أمام خطته لإطلاق عبادة "الكائن الأسمى".

كان لدى روبسبير خطة منظمة للقضاء على الدين التقليدي نهائيًا من خلال إبادة الكهنة وترحيل الآخرين. أدى إعدام لويس السادس عشر بتهمة الخيانة في 21 يناير 1793

إلى توسع الحرب حيث هددت دول أوروبية بغزو فرنسا. كان هناك خوف عام في أوروبا من أن سقوط الأنظمة الملكية الأوروبية سيؤدي إلى اندلاع ثورات فيها، وبالتالي كان من الضروري غزو فرنسا. وفي فرنسا، في غضون ذلك، استجاب "المؤتمر الوطني" لهذا الوضع العسكري اليائس في 24 فبراير بالدعوة إلى اختيار 300 ألف مجند عن طريق الاقتراع.

التجنيد الإجباري أدى إلى مقاومة، وبالتالي اندلعت الحرب الأهلية في "فانديه" في 11 مارس. واعتبر توقيت الانتفاضة، بالتزامن مع غزو الجيوش الأجنبية لفرنسا، بمنزلة خيانة عظمى، وأثار غضبًا عارمًا في باريس وأماكن أخرى. جعل قانون 19 مارس عقوبة الإعدام إلزامية في قضايا التحريض على الفتنة. وقد أطلق نداءً في أوائل شهر مايو يدعو فيه إلى "إبادة جميع هؤلاء الكائنات الحقيرة والشريرة"، وأشار إلى وجوب "القضاء على قطاع الطرق في فانديه" قُضي عليها بحلول نهاية أكتوبر. وبُرِّرَت إجراءات الإبادة والقمع الوحشي التي سيتم تطبيقها في منطقة فانديه بأنها "فضيلة" لأن المتعصب لا يمكن تدميره إلا بهذه الطريقة.

ورغم أن مخاوف المتمردين كانت مشروعة إلا أن حجم الوحشية في قمع الانتفاضة كان غير مسبوق. أوضح الكاهن المعروف باسم الأب يوجين بوسارد، الذي كتب عمله الشهير: "التاريخ الأول لحروب فانديه" (1905)، أن فانديه الكاثوليكية لم تعترض على التغييرات السياسية التي أحدثتها الثورة، إلا أنها لم تستطع قبول التغييرات في النظام

الديني. لكن الثوار الذين اتبعوا معتقداتهم المستنيرة، وبالتالي برروا الحرب ضد متمردي فانديه الذين زعموا أنهم ضُلِّلوا. والخطأ الوحيد الذي ارتكبه هؤلاء الناس تمسكهم بالمبادئ الدينية التي تخلى عنها خصومهم. لم يكن روبسبير على دراية بقوة الإيمان بين المسيحيين في الريف.

أجزاء من غرب فرنسا إلى جانب منطقة فانديه بدأت ثورتها بعد أن طردت الجيوش الفرنسية الغزاة. وقعت ثورات مضادة للثورة هناك وفي مرسيليا وليون وبوردو في صيف 1793. وطالب روبسبير بفرض قانون أكثر صرامة بشأن المشتبه بهم، وأعلن:

> **"يجب علينا – ليس فقط – إبادة جميع المتمردين في فانديه، بل أيضًا جميع المتمردين ضد الإنسانية وضد شعب فرنسا" (خطاب في نادي اليعاقبة، 8 مايو 1793).**

وقد استخدم كلمة "الإبادة" مرارًا وتكرارًا طوال هذا الخطاب:

- **"يجب علينا إبادة كل هؤلاء الكائنات الحقيرة والدنيئة".**
- **"الوطنيون الباريسيون ... سيبيدونهم جميعًا ... نعم، جميع المتمردين دفعة واحدة".**

في المذبحة "رتكبت كل فظائع يمكن تخيلها في ذلك الوقت بحق السكان العزل". كانت النساء يتعرضن للاغتصاب بشكل روتيني، وكان الأطفال يُقتلون، وكلاهما يُشوّه، وفي غونورد، 200 مسن، وأمهات وأطفال، أُجبروا

على الركوع أمام حفرة كبيرة حفروها؛ ثم أُطلق عليهم النار ليسقطوا في قبورهم، ودُفن 30 طفلًا وامرأتان أحياءً عندما جُرفت الأتربة إلى الحفرة.

و"أرعبت الفروع الباريسية و"لجنة السلامة العامة" أوروبا بقسوتها الجريئة وأنقذت الثورة بأعجوبة مما بدا هزيمة محققة". وهكذا تقرر أن السبيل الوحيد لإنقاذ الجمهورية هو عبر وضع تدابير طارئة أصبحت تُعرف باسم الإرهاب. وفي المحكمة الثورية "كانت تنهي كل قضية في غضون 24 ساعة". "يُقتاد الضحايا إلى قاعة المحكمة في الصباح، وبغض النظر عن عددهم، يتحدد مصيرهم في موعد لا يتجاوز الساعة الثانية بعد الظهر من اليوم نفسه". وبحلول الساعة الثالثة، يكون قد تم قص شعرهم وتقييد أيديهم ووضعهم في عربات الموت في طريقهم إلى الإعدام.

وقد أشار نورمان هامبسون في سيرته الذاتية عن روبسبير إلى أن "المحكمة الثورية ... أصبحت آلة قتل لا تميز بين أحد ... المؤامرات الوهمية... والاتهامات السخيفة أصبحت أحداثًا يومية". هذه الفظائع مقصودة من قبل روبسبير ورجاله، الذين التزموا بأيديولوجية قسمت العالم إلى "أصدقاء" و"أعداء". وكان لا بد من إبادة الأعداء بلا رحمة، وكان موتهم مبررًا من أجل مستقبل البشرية. وكما يقول لوميس، فإن كل من لعب دورًا في الدراما ... اعتقدوا أنهم مدفوعون بدوافع وطنية وإيثارية. جميعهم... كانوا قادرين على تقدير نواياهم الحسنة أكثر من قيمة حياة الإنسان... لا توجد جريمة، ولا قتل، ولا مذبحة لا يمكن تبريرها، شريطة أن تُرتكب باسم مبدأ ما.

"بين 10 يونيو و27 يوليو [1793] ... لقي 1366 ضحية حتفهم"، وكان معظمهم أبرياء ولم يكونوا قادرين حتى على الدفاع عن أنفسهم ضد جرائم لم يرتكبوها. روبسبير قرر أن من الضروري التخلص من الكهنة من الأراضي الفرنسية، وبذلك قدم حلًا نهائيًا لمشكلة الكهنة:

أصدر "المؤتمر الوطني" مرسومًا حكيمًا لإزالة الوباء المعدي للكهنة المتعصبين بعيدًا عن الأراضي الفرنسية، واليوم يُقترح عليه إعادتهم إلينا... لكن يُنسى أنه إذا بقوا في فرنسا، فسيظلون دائمًا نقطة تجمع للمتآمرين، وأن الفتنة قد تؤدي في أي لحظة إلى إطلاق سراح هذه الوحوش الشرسة بيننا. لقد نُسي أنهم من عتبة سجنهم استطاعوا أن يسمموا الناس مرة أخرى بكتاباتهم المدنسة. وأصبحت المحكمة الأداة الرئيسة للإرهاب في يد روبسبير منذ سبتمبر 1793. لكن روبسبير كان متورطًا بالفعل في مذابح فانديه حتى قبل إنشاء المحكمة.

وأطلق المؤرخون على الإجراءات المعادية لرجال الدين في الفترة 1793-1794 اسم "حركة نزع المسيحية" وكجزء من خطة نزع المسيحية، أُرسل نواب في جميع أنحاء فرنسا لتنفيذ السياسات ضد رجال الدين. واستنادًا إلى قوة روبسبير ونفوذه في "المؤتمر الوطني" ثم في "لجنة السلامة العامة"، بالإمكان – بوضوح – رؤية مسؤولية روبسبير المباشرة عن المذابح في فانديه والمقاطعات الأخرى. كانت خطابات روبسبير دليلًا كافيًا على التحريض على القتل، حيث دعا فيها إلى المجازر.

إنه ماكسيميليان، الذي صرخ في 10 أكتوبر 1793:

"ليس لأعداء الشعب شيء سوى الموت".

مع هزيمة فانديه في نانت في 29 يونيو، أصبح بالإمكان وضع حد لتمرد فانديه. وتزامن تولي روبسبير قيادة لجنة السلامة العامة مع هذه الأحداث. وفي خطاب له في 1 أغسطس، دعا روبسبير إلى "تدمير فانديه"، بل جرى التفكير حتى في الحرب الكيميائية: "قنابل، دخان سام!"، زرنيخ في مصادر المياه. صوّت المؤتمر بمرسوم على التدمير الكامل لأراضي المتمردين وترحيل السكان المدنيين. بين سبتمبر 1793 ويوليو 1794، وصل تسارع الإرهاب إلى مستوى جديد من الفظائع مع جنون العظمة لدى روبسبير. وكان حصار ليون وحشيًا لدرجة أن من يُسمّون بالوطنيين قيدوا المتمردين وقصفوهم بالمدافع. أما في فانديه، فحدثت مذابح جماعية، من غرق جماعي إلى رمي بالرصاص وقطع الرؤوس علنًا.

قام الجنرالات والجنود الثوريون بتنفيذ مراسم عامة "للغرق الجماعي والإعدامات التي استهدفت الخصوم السياسيين لإله مُستَحدَث: الجمهورية". وبعد قمع التمرد أخبر الجنرال ويسترمان رؤساءه في باريس قائلًا: "لم تعد هناك فانديه". إن فرادة قضية فانديه تعود إلى حقيقة أن تمردًا مسلحًا في المنطقة الغربية هدد بالانتشار، الأمر الذي كان من شأنه أن يقوض وجود الجمهورية ومبادئها العلمانية.

في أكتوبر 1793، حظرت الجيوش الثورية العبادة العامة وأُزيلت مظاهر المسيحية كافة. وفي 23 نوفمبر 1793، أُغلقت الكنائس وتحويل العديد منها إلى

مستودعات وإسطبلات. واستولت كومونة باريس على كاتدرائية نوتردام وحولتها إلى معبد العقل كرمز لانتصار الفلسفة على التعصب. في 23 نوفمبر، أغلقت الكومونة الكنائس في باريس. وبين أكتوبر 1793 وأغسطس 1794، اعتقل حوالي نصف مليون شخص بموجب قانون المشتبه بهم، وأُبقي معظمهم في السجن دون توجيه تهم إليهم، وقُتل حوالي 35 ألف شخص. وخلال عهد الإرهاب، أعدمت المحاكم الثورية رسميًا 16594 شخصًا.

في 25 ديسمبر، أصدر روبسبير "تقريره عن مبادئ الحكم الثوري" الذي يدعو فيه إلى حكومة استبدادية بدلًا من حكومة دستورية. بدأ الثوار المخلصون، مثل الصحفي كاميل ديسمولان، بانتقاد وتيرة وقسوة عهد الإرهاب في عهد روبسبير. كما بدأ ديسمولان ودانتون، الرجل المقرب من روبسبير، بانتقاد تجاوزات روبسبير أيضًا. استمرت الحرب في منطقة فانديه تحت قيادة الجنرال تورو الذي أمر جنوده في 17 يناير بتمشيط الأرض وقتل جميع الرجال والنساء والأطفال الذين يمتلكون أسلحة أو يشتبه في إخفائها. وفي سبتمبر، ارتكب الجيش مذبحة راح ضحيتها حوالي 250 ألف شخص، وهو ما يمثل حوالي خُمس السكان، صدر أمر بحرق القرى والمدن والمحاصيل. في 27 مارس 1794، اكتشف رتل يضم آلاف الجنود المتمردين الجرحى، فقُتِلوا جميعًا.

وقدم روبسبير "تقريره عن المبادئ الأخلاقية" المُوجِّهَة وأعلن فيه أن "الإرهاب بدون فضيلة قاتل، لكن الفضيلة بدون إرهاب عاجزة"، وأضاف: "الإرهاب ليس إلا

عدالة سريعة وقاسية وغير قابلة للتغيير". ورد روبسبير على مطالبات بإطلاق نواب مسجونين قائلًا: "إن الطريقة الوحيدة لإرساء الحرية هي قطع رؤوس المجرمين".

وأدانت المحكمة دانتون وأصدقاءه وأشارت كلمات دانتون الخالدة إلى ثورة جن جنونها في عهد روبسبير، ومما قاله:

"لقد جرت إدانتنا دون جلسة استماع..."،

"...لم تكن هناك مداولات، ولا شهادة، ولا شهود، ...

... والآن نذهب إلى المقصلة".

ولم يكترث روبسبير بأية تحذيرات، إذ أخذ على عاتقه أن يقود الطريق إلى الفضيلة من خلال زيادة الموت إلى أقصى حد. ومنذ الإطاحة بالنظام الملكي، امتلأت السجون بأشخاص لم يكن لديهم أدنى فكرة عما يُتهمون به. وكان ترحيل الكهنة "الحل النهائي" بالنسبة لروبسبير، حيث لم يعد الكهنة يشكلون عقبة في طريق العقلانية أو عبادة "الكائن الأسمى". وعند ترحيل الكهنة، كانت الظروف في سجن السفينة مروعة. مساحة المعيشة التي كان يقيم فيها 409 من المرحلين لا تتجاوز 11 قدمًا مكعبًا. وكان هناك سعى إلى إبادتهم عن طريق ترحيلهم وقتلهم. ومثل جميع الربوبيين، تصور روبسبير الله بطريقة مختلفة عن المسيحيين. أكد الربوبيون أن المسيحية علمت نظرة خاطئة عن الله لأنها قالت إن الله يريد من الناس أن يؤدوا طقوسًا خرافية وأن يؤمنوا بعقائد غير عقلانية.

وتتجلى معاداة روبسبير للمسيحية عندما سمح بعبادة الله طالما لم يُطلق عليه هذا الاسم. كان الربوبيون

يعتقدون أن الربوبية أو الدين الطبيعي فقط هو الصحيح، وأن الأديان الأخرى، وبخاصة المسيحية، تقدم رؤية خاطئة عن الله وطريقة عبادته. وبالتالي، كان من المقرر تطبيق المادة 13 من الخطاب الموجه إلى "المؤتمر الوطني" الفرنسي، بتاريخ 7 مايو 1794، عليهم:

في حالة حدوث اضطرابات ناجمة عن أي شكل من أشكال العبادة العامة أو ناشئة عنها، فإن جميع الذين أثاروها بالوعظ المتعصب أو الاقتراحات المعادية للثورة، وجميع الذين استفزوها بأعمال عنف غير عادلة أو غير مبررة، سيعاقبون على قدم المساواة، بكل صرامة القانون.

جرى تشديد قانون المشتبه بهم بشكل أكبر بموجب قانون 22 برايريال (10 يونيو 1794)، والتشديد منح سلطة غير مقيدة للمحاكم الثورية في جميع أنحاء البلاد للتصرف بشكل أكثر صرامة ضد المشتبه بهم. وسهّل ذلك في حالات كثيرة إصدار أحكام إعدامٍ فورية.

وكان من المقرر معاقبة أي من ضباط السفينة أو بحارتها الذين يُضبَطون وهم يتحدثون مع السجناء. والضباط كانوا يراقبون السجناء بسيوف مستعدة لمهاجمتهم في حالة حدوث أي تحرك مشبوه بين الكهنة. وانبعثت من داخل القفص أنفاس كريهة الرائحة وحارقة أوقفتني في أولى خطواتي. كان دخول ذلك الفرن المشتعل يتطلب جهدًا حقيقيًا. لقد كنا محصورين في مساحة ضيقة للغاية لدرجة اضطرارنا إلى أن تكون أذرعنا ملتصقة بأجساد جيراننا بدافع الضرورة. بسبب الحالة المروعة لسفينة

السجن، أصبح سطحها رطبًا وكريه الرائحة، وأصيب بعض الكهنة بأمراض، أو ماتوا اختناقًا. وفي حال طلب بعضهم المساعدة من الحراس، كان الرد سيلًا من الشتائم وهتاف: "تحيا الجمهورية!"

وذات ليلة اندلع حريق، فأرسل الضباط جنديًا للتأكد من إغلاق أبواب العنبر بشكل صحيح. كانت قوارب النجاة جاهزة للطاقم إذا اشتعلت النيران، لكنهم كانوا سيتركوننا جميعًا نحترق، وكانت عمليات إذلال الكهنة متفشية. وكان على الأسرى أن ينتقوا فضلات الفئران من الطعام أثناء تناولهم الطعام.

لقد استخدمت حكومة روبسبير الإرهاب كسياسة في جميع أنحاء فرنسا. وبما أن الإرهاب تَجَسَّد في روبسبير، فإن زواله كان يعني نهايته.

بعد تقييم كراهية روبسبير للدين التقليدي التي أدت إلى عهد الإرهاب واضطهاد ممثليه من الكهنة، ننظر إلى نقاد معاصرين لروبسبير وآخرين لاحقين، من أجل إصدار حكم نهائي عليه. كتب الفيلسوف الإنجليزي وناقد الأدب والمسرح، جورج هنري لويس، سيرة روبسبير في أوائل القرن 19 وأشار إلى أنه من أجل سرد دقيق للتاريخ، يجب الاعتماد على "قوانين التطور الاجتماعي" حتى يتم اعتباره جزءًا من العلم.

لقد نظر إلى إنجازات روبسبير في "الثورة الفرنسية" وأشار إلى أنه رغم صفات جيدة فيه مثل الاتساق والمثابرة، إلا أنه ظل "متعصبًا" "ضيق الأفق، متبلد ..... لا يكترث بالوسائل". ومن يتأمل هذا الجانب أيضًا، سينظر إلى

روبسبير بمشاعر مختلطة غريبة من الإعجاب والاشمئزاز؛ وسيكون الانطباع الدائم شعور اشمئزاز شديد، لدرجة أنه سيحتاج باستمرار إلى تذكير نفسه بالصفات التي ينبغي أن تخفف كراهيته.

الكاتبة فابيان بيليه (1772-1855) تساءلت في صحيفة "يونيفرسيل"، الصحيفة الرسمية للحكومة:

- كيف يمكن اعتبار روبسبير جديرًا بالثقة بعد أن أشاد بغرور بلويس الرابع عشر في 1788 وبعد 5 سنوات صوت لصالح إعدام الملك.
- روبسبير هو من أعلن في 1789 أن النظام الملكي هو النظام الحكومي المقبول لفرنسا، مع ذلك في 1793، أسس الجمهورية وادعى أن الجمهورية هي النظام الوحيد الذي يليق بفرنسا.

لقد كان انتهازيًا يسعى لتحقيق مصالحه من أجل ترسيخ قاعدة سلطته، ثم عندما يحين الوقت المناسب يفرض إرادته. ماري فرانس هيلجار من جامعة نيفادا، لاس فيغاس، ذكرت في بحث لها كتابًا بعنوان: "الحرب في فانديه ونظام تقليص السكان" يعود تاريخه إلى نهاية عام 1794، كتبه صحفي وثوري وكاتب فرنسي من رواد الشيوعية في فترة "الثورة الفرنسية"، وتوصلت في بحثها إلى نية روبسبير الحقيقية من استخدام عهد الإرهاب، وبخاصة في فانديه:

"لقد حانت اللحظة والمناسبة للكشف عن سر هائل: لقد قرر ماكسيميليان (روبسبير) ومجلسه أن التجديد الحقيقي لفرنسا لا يمكن تحقيقه إلا من

خلال توزيع جديد للأراضي وللرجال الذين يحتلونها". أدان الكاتب قتل السكان وادعى أن منطقة فانديه اختيرت كحقل تجارب.

وبحسب هيلجار أُخفي الكتاب "لمدة قرنين"، وربما لو لم يثر الفانديون لحماية عقيدتهم، لربما انتشرت "عبادة العقل" أو "الكائن الأسمى" في جميع أنحاء أوروبا. ولقد كان "المؤتمر الوطني" شريكًا مساهمًا في "الإبادة"، من خلال دعم المجازر والإعدامات، كجزء من الخطة الكبرى. ميرلين دي ثيونفيل، عضو "المؤتمر الوطني" الذي قاتل في فانديه، قال صراحةً في جلسة بالمؤتمر:

"ألفت انتباه "المؤتمر الوطني" المعني بتقاسم أراضي فانديه،... أعتقد أننا بحاجة إلى إعطاء الأولوية للعديد من الجنود الذين يقاتلون من أجل الحرية".

ويتضح من هذا النص أن الخطة كانت إنشاء فانديه جديدة بعد تدميرها بالكامل وإعادة توطينها بمستعمرات جديدة وجنود قاتلوا من أجل الحرية.

الفصل السادس:
الخاتمة

إن دفاع المؤرخين المعاصرين عن روبسبير، إن لم يكن جميعهم، دفاع أيديولوجي بحت. وتكتيكاته المتمثلة في استخدام الإرهاب لفرض خضوع الشعب الفرنسي، وبخاصة في منطقة فانديه وقتل زملائه الجمهوريين. رغم وجود العديد من المؤرخين الذين يعترفون بتجاوزات جرائم القتل التي ارتكبها روبسبير خلال عهد الإرهاب، لكن مؤرخين آخرين ما زالوا يدافعون كـ "منقذ للجمهورية" من الرجعيين.

يتبنى المدافعون عن روبسبير حجته القائلة بأن عهد الإرهاب كان أداة ضرورية ليظهر رجل "ديمقراطي" جديد ذي دين مدني جديد. ويمكن إرجاع الأسباب الكامنة وراء تطرف الثورة والتزام روبسبير بـ "الحل النهائي" لأعداء فرنسا الداخليين إلى فلاسفة عصر التنوير في القرن 18 الذين أعطوا الأولوية للعقل على الإيمان. بالنسبة لبعض الفلاسفة، والثوار اللاحقين في فرنسا، حلّ العقل محل الإيمان في تفسير السلوك الأخلاقي.

النتيجة الطبيعية للهجوم على فرنسا وتقاليدها ودينها من قبل الفلاسفة إلى تطرف الثورة في عهد روبسبير، وكان هدفها القضاء على المسيحية والملكية والأرستقراطية. كان روبسبير والثوار الذين معه "ملتزمين بتكريس الديمقراطية، والمساواة الاجتماعية، وعبادة

الإنسان وعقله". وكانت النتيجة "طغيانًا وحشيًا وقاتلًا"، بينما سعت "جمهورية الفضيلة" الجديدة في عهد روبسبير إلى تجديد الإنسان ومعتقداته بتقديم دينها الخاص للإنسان "الديمقراطي" الجديد.

توجد مشكلة في التأريخ الفرنسي تتعلق بشخصية روبسبير. بالنسبة للعديد من المؤرخين الفرنسيين، يمثل روبسبير روح الجمهورية. إن تقويض روبسبير وسياساته خلال الثورة يشبه إدانة روح الجمهورية، وهو أمر لا يمكن تصوره.

بدلًا من ترسيخ المثل العليا المعلنة للثورة: "الحرية والمساواة والإخاء"، أصبح روبسبير ديكتاتورًا متعصبًا، لم يمنح الحرية والمساواة للأديان الأخرى، وخلق الخوف بدلًا من الإخاء. شهدت الدراسات الأكاديمية حول عهد الإرهاب زيادة ملحوظة منذ عام 2000. ركز المؤرخون طوال القرن الماضي على استخدام اليعاقبة للإرهاب السياسي. رغم أن الباحثين الفرنسيين يهيمنون على دراسة "الثورة الفرنسية"، إلا أن المؤرخين الناطقين باللغة الإنجليزية يشكلون نسبة كبيرة جدًا من هذا البحث. نقص الدراسات حول عهد الإرهاب بين الفرنسيين نابع من هيمنة المدرسة الماركسية الفكرية حتة ثمانينات القرن 20. وبدءًا من المؤرخ ألبرت ماثييز، الذي كتب قبل عام 1930، دافع هؤلاء العلماء عن عهد الإرهاب باعتباره ضروريًا لحماية النظام الجمهوري، وبالتالي لم يقدموا مزيدًا من التفسير. أُجريت المزيد من الأبحاث في خمسينات وستينات القرن 20 على عمليات الاضطهاد التي قادتها "لجنة السلامة العامة". وهذه

المدرسة لم تدن سياسات اليعاقبة، واكتفت بنقد مخفف، حتى منتقدو التفسيرات الماركسية اتفقوا مع المؤرخين الماركسيين على أن "الإرهاب انبثق بشكل واضح من الدفاع عن الميثاق الثوري الأولي". كانت هذه الدراسات حول عهد الإرهاب ذات رؤية خطية ومحدودة.

آمن العلماء بالجمهورية وما تمثله كعقيدة راسخة، وزعموا أن أول عامين من الثورة نجحا في غرس المثل الجمهورية والديمقراطية. رغم أن مؤرخين أنجلو-أمريكيين وباحثين فرنسيين أكدوا أن "الرجعية اليعقوبية كانت مسؤولة عن إخراج الثورة عن مسارها"، لكن البحث لم يتجاوز فترة الإرهاب. في غضون ذلك، دافع الماركسيون الفرنسيون عن العنف باعتباره شرًا لا بد منه.

هز المؤرخ فرانسوا فوريه الأوساط الأكاديمية الفرنسية بتفسيره المناهض للماركسية للإرهاب، وأكد أن منطق الإرهاب كان أيديولوجيًا وليس اجتماعيًا. زعم فوريه أن المساواة المعلنة لـ "الثورة الفرنسية" رسخت أيديولوجية تقوض الحرية الفردية وتسمح بالهيمنة الكاملة لحكومة تدعي أنها تمثل الإرادة الشعبية. وحجة فوريه قوضت الثورة بأكملها واعتبرت عهد الإرهاب لا مفر منه لكنه ليس ديمقراطيًا لأن الأيديولوجية التي أسسها اليعاقبة زعمت الوقوف مع "الشعب كمجموعة، لا يمكن التشكيك في صلاحها". كان لا بد من إبعاد أولئك الذين اختلفوا في الرأي. لقد رأى هؤلاء السياسيون اليعاقبة قيادتهم كجزء من الإرادة الشعبية. لقد تنافسوا مع بعضهم البعض بينما انتُهكت الحريات المدنية. خلال فترة الإرهاب، رأى الثوار

مؤامرات في كل مكان، ولذلك استخدموا تكتيكات الإرهاب لإنقاذ الحرية.

الفرنسي بيير تشونو اعتبر أن الثورة أدت إلى ظهور "نمط جديد من الديكتاتورية السياسية، والذي كان السلف المباشر للفاشية والشيوعية الشمولية في قرننا". وهكذا ندد بالثورة نفسها، التي اعتبرها "مقدمة مباشرة للقمع المعاصر".

بالنسبة لروبسبير، كان عهد الإرهاب وسيلة لإقامة "الجمهورية المتخيلة والمرغوبة". وجادل الجمهوريون في القرن 19 والماركسيون في القرن 20، مثا روبسير، بأن عهد الإرهاب كان ضروريًا بسبب الظروف الخاصة للتدخل الأجنبي في الأراضي الفرنسية والحرب الأهلية بين الجمهوريين والمعارضين للجمهوريين.

تحدى فرانسوا فوريه أطروحة الظروف بحجته القائلة بأن الإرهاب كان متأصلًا في الثورة منذ أيامها الأولى، لقد أصبح عهد الإرهاب دولة بوليسية قمعية لا يمكنها التسامح مع أي تذكير بالنظام القديم، وبالتالي أدخلت تقويمًا ثوريًا؛ وأعادت تسمية الشوارع لتعكس القيم الثورية. لكن هذا لا يحل مشكلة عنف الإرهاب.

بالنسبة لماريسا لينتون، فإن عهد الإرهاب "نشأ من مسار الثورة وخيارات الأفراد". وجاءت الضربة القاضية لتصوير "الثورة الفرنسية" بصورة مثالية من المؤرخ الفرنسي رينالد سيشر، الذي اكتشف في 4 مارس 2011 وثائق في الأرشيف الوطني في باريس تؤكد النتائج الأولية التي توصل إليها في كتابه الصادر عام 1986 بعنوان: "إبادة

جماعية فرنسية"، أي وجود إبادة جماعية خلال "الثورة الفرنسية".

كان المؤرخون على دراية بالمقاومة الواسعة للثورة، لكن معظمهم اعتبروا تمرد فانديه (1793-1795) حربًا أهلية لا إبادة جماعية. وقد تعرض سيشر للتشهير من قبل الصحفيين والأكاديميين بسبب تشكيكه في الرواية الرسمية لأحداث عهد الإرهاب. لا تزال "الثورة الفرنسية" يُنظر إليها من قبل العديد من الفرنسيين والأكاديميين على أنها "أسطورة خلق مقدسة...؛ فهم لا يتقبلون المجدفين". لكن "أسطورة الخلق المقدسة" هذه تمزقت بأدلة المجازر التي وقعت في غرب فرنسا وبخاصة في منطقة فانديه.

فضل الجيش الثوري الذي أُرسل للتعامل مع المتمردين عدم أخذ أسرى أو إظهار أي رحمة تجاههم. وأرسلت "لجنة السلامة العامة" جان بابتيست كاريه إلى نانت في 20 أكتوبر 1793. روّج كارير لتقنية إغراق قطاع الطرق لتوفير ثمن الرصاص. وخلال فترة عمله التي دامت 4 أشهر كممثل للجنة في نانت، أُعدِم 1971 متمردًا بالوسائل العادية، وتوفي حوالي 3000 بسبب المرض، وغرق 4860 شخصًا. ثم تم تنفيذ عقوبة الغرق لجميع المتمردين.

انتشرت حالات الغرق إلى ما هو أبعد من نانت كما أكدت في رسالة من الجنرال مارسو إلى وزير الحرب الثوري، أعلن فيها أن ما لا يقل عن 3000 امرأة من سكان فانديه غير المقاتلين قد أُغرِقن. وأعرب الجنرال ويسترمان، أحد أشهر جنود الثورة، عن رضاه عن معدل عمليات القتل. وأشار إلى وجود آلاف الجثث المتراكمة على جانبي الطريق، وقد

جُرِّدت من أية أشياء ثمينة. وقد أعلن عن إنجازه أمام لجنة السلامة العامة:

يا مواطني الجمهورية، لم تعد هناك مدينة فانديه.
لقد ماتت تحت سيف حريتنا، مع نسائها وأطفالها.
لقد دفنتها في غابات ومستنقعات سافيناي.
امتثالًا لأوامرك، سحقت أطفالها تحت حوافر خيولي، وذبحت نساءها... اللواتي لن ينجبن المزيد من قطاع الطرق الآن.
ليس هناك سجين واحد يمكنه انتقاد أفعالي، لقد أبدتهم جميعًا...

واستمرت آلة الذبح رغم الوعود بتعزيز السلام في المنطقة.

في 17 يناير 1794، انطلق جنرال بجيشين في "حملة الحرية" للتعامل مع المتمردين المتبقين. لم يسلم أحد من ذلك، بمن فيهم النساء والأطفال. أُضرمت النيران في المنازل والمزارع والقرى والأحراش. تلقى الجنود تعليمات بمحو أي أثر متبقٍ للمقاومة. وقدّر رينالد سيشر أن أكثر من 117 ألفًا من سكان فانديه اختفوا من أصل عدد سكان يبلغ حوالي 815 ألف نسمة. وفقدت بعض المناطق نصف سكانها أو أكثر. دُمِّرت الكليات والمكتبات والمدارس والكنائس والمنازل الخاصة والمزارع وأماكن العمل. كانت هذه إبادة جماعية متعمدة ومُخطَّطًا لها لتفريغ المنطقة من سكانها كما تصور روبسبير.

بغض النظر عن مدى إنكار المدافعين عن روبسبير أن تهدئة فانديه تمت عن طريق مذبحة السكان، فإن المفكر

الثوري بابوف، وهو معاصر لروبسبير، أول من وصف ذلك بأنه "إبادة جماعية" أو عملية إبادة سكانية في دراسته عام 1794 وهو نص قدم أول سرد مفصل.

في النهاية.

أصبح هناك باحثون يقارنون إدانة رجال الدين والأرستقراطيين بالاستعارات المعادية للسامية التي استخدمها النازيون في ثلاثينيات القرن 20، ثم الكولاك للسوفيت، وبول بوت وماو، وصولًا إلى القول بأن: "جميع المثاليين العظماء لديهم نقيض جماعي، العناصر غير النقية التي يجب التخلص منها...".

وصفت الشاعرة والروائية البريطانية هيلين ماريا ويليامز، بصفتها مراقبة محايدة للسياسة الفرنسية، الوضع في ظل عهد الإرهاب في فرنسا حيث كانت تقيم. انطلاقًا من ملاحظاتها وتحليلها لشخصية روبسبير، كتبت ما يلي:

كان أحد أسرار حكومة روبسبير توظيف رجال ذوي سمعة سيئة أو ملطخة بالجرائم كسلالم لتحقيق طموحه. كان هؤلاء الرجال هم الأنسب لغرضه؛ لأنهم على الأرجح لن يتوقفوا عن تنفيذ أوامره... وعندما أنجزوا الجزء الذي خصصه لهم ولم يعد بحاجة إليهم أرسلهم بسببه إلى المقصلة.

لويس ماري برودوم، وهو جمهوري راديكالي أسس صحيفة راديكالية للثورة الفرنسية ترك 6 مجلدات من تفاصيل عهد الإرهاب في عمله المعنون: "التاريخ العام والمحايد للأخطاء والجرائم والانتهاكات التي ارتكبت خلال

الثورة الفرنسية" (1796-1797). ولا جدوى من التغاضي، وبخاصة فيما يتعلق بمذابح الفانديه.

الدبلوماسي والقانوني جاك فيلمان، الذي عمل لسنوات على موضوع العدالة والقانون الجنائي الدولي وعلى حرب فانديه، أشار إلى أن روبسبير دعا مرة واحدة على الأقل إلى إبادة سكان فانديه. التاريخ مثير للاهتمام لأنه قد يعتقد المرء أن الرغبة في إبادة الفانديه كانت تعتبر الحل الوحيد لأنه لم تكن هناك طريقة أخرى للحصول على خضوعهم. مع ذلك، في 9 مايو 1793 بدأت الانتفاضة، وكان هذا لا يزال في بدايتها فقط. كان روبسبير منذ البداية مؤيدًا للإبادة

"وحتى لا يبقى أي شك بشأن نظامي، أعلن أنه يجب علينا ليس فقط إبادة جميع المتمردين في فانديه لكن أيضًا جميع المتمردين في فرنسا الذين هم ضد الإنسانية وضد الشعب" (تصفيق متكرر).

.....

"لم يبقَ في فرنسا سوى طرفين: الشعب وأعداؤه. يجب علينا استئصال كل هؤلاء الأشرار والفاسدين الذين سيتآمرون إلى الأبد ضد حقوق الإنسان وسعادة جميع الشعوب، هذا هو واقعنا".

ينبع الإرث السياسي للتطرف من أفكار عصر التنوير في القرن 18، "بأفكارها عن التقدم البشري وإيمانها بقوة العقل". ولم يستسلم روبسبير للعقل بل لعبادة "الكائن الأسمى"، التي اعتقد أنها الإيمان الطبيعي للبشرية الذي يجب على الناس اعتناقه حتى لو كان ذلك يعني الاستمرار في اعتماد آلية الإرهاب. بالنسبة لروبسبير، كانت الثورة المثل

الأعلى الذي يجب أن يصل إليه المجتمع. بُرِّر كل شيء باسم الثورة. بادعائه أنه "غير قابل للفساد" وإيمانه بذلك، "أصبح متطرفًا، غير قادر على تحمل الأفكار أو السلوك الذي لا يتوافق مع ما كان يعتقد أن الثورة يجب أن تكون عليه".

ولتحقيق ذلك كان عليه أن يستخدم الإرهاب حتى آمن جميع الناس بفضيلة الجمهورية وأدانوا المعتقدات القديمة والخرافية. ولهذا السبب، تصور إرهابًا مستمرًا حتى يتم إرساء الفضيلة، وهي حب الوطن، لأن إلهه الأعلى كان يُنظر إليه على أنه الحل لحاجة الإنسان إلى دين مدني جديد.

ملاحق

ملحق 1

راهبة الدير

سليمان مظهر

<u>مجلة العربي الكويتية، العدد 535، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب</u>

كان زعيمًا للإرهاب... لكنه يدّعي أنه راعي الحرية والمساواة. بينما حصدت المقصلة آلاف الأحرار من الثوار الفرنسيين ممن اعتبرهم بعض أعدائه خلال مرحلة زعامته لحكم الإرهاب الذي استهدف التخلص ممن سماهم بالخونة... وهم في عرفه كل معتدل يجرؤ على انتقاده أو نقد رجاله وأعمالهم.

كانت الثورة الفرنسية في ذلك الوقت قد بدأت تنقلب على نفسها وعلى المخلصين من قادتها. وكان (مارا) أحد قادة عصر الإرهاب الجديد رغم أنه في أول أمره كان يسمى: "صديق الشعب". وإذ كان في أعماقه مبنيًا على سوء الظن، فقد كان يرى الخونة في كل مكان، ولا يفتأ

يحرض الشعب على العنف وإهراق الدماء ما جعله يصبح مستحقا للقب: "السفاك".

كان عصره العصر الأوسط في تاريخ الثورة: "عصر الإرهاب" بزعامة روبسبيرو مارا. بينما كان العصر الأول: عصر الجيروندبين وهم الجمهوريون الديمقراطيون، أما العصر الثالث فكان ما سمي: "عصر الاعتدال".

وهكذا كان (مارا) من العصر الأوسط الذي لا يحفل بالأشكال القانونية ومن أنصار الدكتاتورية الباريسية والقبض على السلطات كلها بيد من حديد. وإذ كان هؤلاء هم نواب باريس وضواحيها، فقد أعلنوا أن باريس هي التي أنقذت البلاد من القوى الرجعية المتهاونة المتمثلة في الجيروندبين الذين انهاروا بعد أن تغلب عليهم الإرهابيون حتى قضوا عليهم، وبخاصة بعد أن حققوا الأغلبية في "المؤتمر الوطني" بإصدار الحكم بإعدام الملك لويس السادس عشر الذي سيق إلى المقصلة في 21 يناير1793، ما آذن بكوارث في الداخل والخارج وحرب طاحنة بين أوربا والثورة وما تبع ذلك من انتشار الفتن والاضطرابات الداخلية.

الراهبة شارلوت

آنذاك، ظهرت على صفحة الأحداث الراهبة "شارلوت كورداي". كانت شارلوت فتاة فرنسية تنتمي إلى أسرة شريفة قديمة. ونشأت في وسط بعيد عن الريف والطبيعة، ثم قضت صباها في أحد الأديرة كراهبة متدربة،

حيث لقّنت القراءة والكتابة وجال فكرها جولة صغيرة في الكتب المقدسة. وحين خرجت من الدير لزمت عمة لها عجوزًا كان بمنزلها بعض الكتب التهمتها التهامًا. وشغلت الفتاة بكتب التاريخ والتراجم حيث امتلأ رأسها بقصص المجد والبطولة والتضحية، فكانت أمنيتها الدائمة أن تخدم بلادها ويخلد ذكرها في صفحات التاريخ وتقرن ترجمتها إلى تراجم أولئك الأبطال الذين قرأت عنهم وأعجبت بكفاحهم!...

حين نشبت "الثورة الفرنسية" وهي في حوالي العشرين من العمر اهتمت بها وأخذت تدرس أسبابها وترقب تطورها وتتابع شخصياتها. وغذت معرفتها بالثورة من خلال بعض الشباب الذين كانوا يلتقون في دار عمتها. وكان من بينهم شاب ألماني اسمه "آدم توكس" كان غارقًا في متابعة أحداث الثورة.

تأثرت شارلوت كورداي كثيرا بكل ما يحكيه آدم من تعاطف مع العامة لقيامهم على الحكومة الملكية ورغبتهم في إسقاطها. وتذكرت الفتاة كيف رأت بعينيها عسف النبلاء والموظفين بالأهالي الذين كانوا يئنون من الضرائب الباهظة المتوالية حتى عمّ الفقر البلاد وشمل الشقاء جميع الطبقات عدا الأشراف والموظفين وكل من له اتصال بالبلاط الملكي.

وحين قامت الثورة وحققت نجاحها الأول وأسقطت الباستيل شملها الفرح والابتهاج لانتصار العامة. إلا أنها مع متابعتها لأحداث الثورة وتقلباتها مع ما كان

يحكيه لها آدم عما كان يجري في باريس من تآكل الثورة التي أكلت أبناءها بعد أن تولى قيادتها فئة من الغلاة راحوا يسيرون على طريق التقتيل واضطهاد المخالفين لمذهبها القائلين بالتروي والاعتدال. وحكى لها آدم ما كان يجري في باريس على أيدي فئة الإرهابيين بزعامة روبسبير مارا الذي استطاع أن يتولى الأمر وحده في قمة عصر الإرهاب.

سيطر على رأس شارلوت أن مارا أصبح زعيم الفئة السفّاكة بعد أن وجدت أن المقصلة لم تعد تهدأ عن قطع الرءوس وبخاصة ممن كانوا من الجيروندبين الذين كان أغلبهم ممن يقيمون في نورماندي موطنها. وكانت تغشى اجتماعاتهم وتشرب آراءهم المعتدلة. وهنا قر قرارها أن تذهب إلى باريس وتقتل السفاك مارا!...

غرام بعد المقصلة

وصلت شارلوت كورداي إلى باريس وراحت تتحسس الطريق الذي يوصلها إلى مقر غريمها مارا. وخلال بحثها عرفت الفتاة أن السفاك لا يظهر كثيرًا للناس بل كان يقيم في داره حيث يصدر كل قراراته بالقتل والتعذيب وقطع الرءوس بالمقصلة. وعرفت شارلوت أنه كان يعاني مرضًا جلديًا رهيبًا أصابه حين قضى فترة هروبه من أعدائه الجيروندبين عندما كانوا يتولون الأمر، فلجأ إلى إنجلترا ليعود بعدها ليختفي منهم في مكان لا يخطر ببالهم.

لم يكن هذا المكان سوى سرداب تجري فيه أوساخ مراحيض باريس. ومن هناك كان يرسل على أعدائه سهامًا

من المقالات المسمومة ويحرض عليهم العامة. وناله من مقامه في ذلك السرداب تقيحات شنيعة تقذي عين الناظر وتؤلمه أشد الألم. وانتهت به الحال إلى أن يخفف وطأة ذلك المرض الجلدي الشنيع بأن يقعد طول نهاره في حوض ماء دافئ لا يرى أحدًا ولا يراه أحد.

من باريس أرسلت شارلوت إلى مارا ورقة تقول فيها:

"أيها المواطن العظيم، لقد وصلت من كاين بنورماندي هذه الساعة، وليس من شك في أن حبك لبلادك يرغبك في أن تعرف الحوادث التي حدثت في نورماندي على أيدي أعدائك. وسأزورك بعد ساعة. فأرجو من إحسانك أن تتكرم بمحادثتي وسأفيدك بما فيه منفعه فرنسا..."!

رفض مارا أن يستجيب للفتاة ثلاث مرات، لكنها جاءت في المرة الرابعة وأخذت تتكلم بصوت مرتفع مع الخادم وتلح في رؤية مارا لمصلحة الوطن... وسمع مارا صوتها فاستدعاها، وكان قاعدًا في حوض يغمر الماء الدافئ معظم جسده وهو يقرأ ويكتب. فلما دخلت حيّته وأخذت تصف له جماعة الجيروندیين المعتدلين في بلدتها وما ينوون ارتكابه. فلما سمع مارا ذلك قال لها: "جميع هؤلاء الذين تذكرينهم سيقتلون قريبا تحت سكين المقصلة".

وكانت شارلوت قد أخفت سكينا أخرجته من صدرها وطعنت مارا به طعنات عدة مزّقت قلبه ورئته. وصاح مستغيثًا فدخلت خادمتاه وأوثقتا شارلوت ليسلماها إلى المخفر لتقدم بعد ذلك إلى المحاكمة.

المقصلة في الانتظار

في يوم المحاكمة تزاحم الناس لرؤية راهبة الدير التي نجحت في تخليص فرنسا من السفاك وكان من بين المتزاحمين الشاب الألماني آدم لوكس. وأطل الفتى إلى الفتاة التي وقفت على المقصلة بثبات. كان وجهها يجلله شعر جميل يزيد حسنه منديل أبيض وفي عينيها يتجلى جد ووقار مع وجه ينبض بالصحة الوفيرة، وقد احتقن بفعل الشمس والهواء الطلق. تكسو كل ذلك هالة قدسية من التضحية وبذل النفس في مصلحة الوطن, وقبل أن يهوي سكين المقصلة على عنقها سمعها بأذنه وهي تقول:

"حسبي أني أديت واجبي... وما عدا ذلك فباطل".

وهتف آدم لوكس يلعن القضاة الذين حكموا عليها بالإعدام. وأذاع في الناس رسالة قال فيها:

"ليست المقصلة عارًا الآن إذ قد صارت منذ 17 يوليو مذبحًا غسل من كل دنس بهذا الدم البريء".

وانتشرت الرسالة بين الناس. وقبض على آدم لوكس وقدم إلى المحاكمة. ولأنه كان ألمانيا، فقد كان القضاة الذين سبّهم يميلون إلى تبرئته على شرط أن يجحد ما قاله وأن يعود إلى ألمانيا. ولم يكد آدم يسمع ما يطلبه القضاة حتى عاد يسبهم ويشتمهم ويحقرهم ويمجد ذكر شارلوت التي ستصعد برغمهم إلى السماء!...

وحكم عليه بالإعدام... وسار إلى المقصلة مستبشرًا واثقًا أنه أدى ما عليه نحو شارلوت كورداي.

ملحق 2

"موت دانتون" لبوخنر: الثورات تغتذي من لحم أبنائها

مثال مسرحي كلاسيكي يحدثنا عن الثوار حين ينقلبون إثر انتصارهم على بعضهم

إبراهيم العريس
اندبندنت عربية ، 28 ديسمبر 2025

ملخص

"ليس التشاؤم في الفن فعلًا مضادًا للثورة، بل إنه يخدم في التنبيه ضد حسن نيات الممارسة الراديكالية: تلك الممارسة التي تعد، خطًا، أن كل المشكلات التي يثيرها الفن، وكل الشرور التي يندد بها، يمكن حلها من طريق الصراع الطبقي.

ومن هنا، فإن هذا التشاؤم يتسلل بالضرورة، وكفعل صحي، من داخل الأعمال التي تجعل من الثورة، والترويج لها، موضوعها الرئيس. ومثالنا الأكثر كلاسيكية على هذا هو مسرحية "موت دانتون" لجورج بوخنر. هذا الكلام الذي كتبه الفيلسوف الألماني/ الأميركي هربرت ماركوزه عام 1977، يمكن اعتباره نوعًا من إعادة الاعتبار إلى عمل

فني كتب قبل ذلك بنحو قرن ونصف القرن، وكتبه بالتحديد مؤلف كان قدره أن يموت وهو بعد في الـ23، بعد عامين فقط من تقديم هذه المسرحية للمرة الأولى على الخشبة في هامبورغ وإثارتها ما أثارته من عواصف. واللافت أن بوخنر لم يكن، حين كتب "موت دانتون"، تجاوز الـ20 من عمره، ومع هذا كان سبق أن ثبت مكانته ككاتب متمرد واعٍ، عبر كثير من الكتابات السياسية والمسرحية.

لكن "موت دانتون" رجمت ولعنت، ذلك أنها لم تتوانَ، في سبيل الحديث عن الثورة الفرنسية، عن ابتكار ما سمي لاحقًا بـ"البطل المضاد"، وعن طرح معضلة البطل الإشكالي ودور الفرد في صناعة التاريخ، ثم دور القلق في صناعة الفرد، مارة في طريقها على واحدة من الإشكاليات التي ستشغل بال القرنين الـ19 والـ20: "حق" الثورة في أن تأكل أبناءها.

وبالنسبة إلى جورج بوخنر، تقدم إلينا الثورة الفرنسية حالًا كلاسيكية عن أهل الثورة وأبطالها حين ينقلبون على بعضهم بعضًا، وقد شعر كل واحد منهم أن الحق في جانبه وأنه هو - من دون غيره - المؤهل لحمل رسالة التاريخ، ما إن ينتصر العمل الجماعي ضد العدو المشترك.

لب الموضوع

غير أن قراءة أكثر تعمقًا، اليوم، لـ"موت دانتون" كفيلة بأن تجعلنا نرى فيها تجاوزًا، ومن بعيد، لإشكالية الثورة وأبطالها، لنصل إلى لب موضوعها، وهو ما يعبر عنه الباحث الفرنسي جيرار روليه في قوله "إن علينا أن نفهم 'موت دانتون' باعتبارها ترجمة لأزمة إيمان قوية وعاصفة في قدرة العقل نفسه على تغيير العالم، وتسيير وإعادة تسيير مجرى التاريخ الكوني" والحقيقة أن هذا الباحث لا يبدو لنا بعيدًا من الصواب هنا.

وحسبنا للتيقن من هذا أن نغوص في الحوار الفلسفي الأخير الذي يدور بين المحكومين في آخر المسرحية، إذ نشاهد هيرو وهو يمسك بذراع كاميل دي مولان، متحدثًا إليه، بلغة شاعرية خالصة، عن انهيار العالم قائلًا "إن عليك أن تشعر بالمتعة يا كاميل. إذ إننا سنعيش ليلة بالغة الحسن. فالغيوم منتشرة في سماء الغسق الهادئة، مثل أولمب تنطفئ، مسكونة بعبور آلهة الأولمب وهي تمحي وتختفي". وواضح أن هذه الصورة التي يصفها هيرو، إنما هي تعبير عن رؤية للعالم بمبادئ تجاوزية، وعن نهاية منظومة يتعين على البطل التراجيدي أن يخضع لها: إنه غروب الأصنام، لكنه في الوقت نفسه فجر يوم جديد لا أصنام فيه ولا أفكار.

التشاؤم فعل ثوري

وهكذا، في ضوء هذا التفسير، يمكننا أن نجد، بقلم جورج بوخنر، كيف يتحول فعل التشاؤم إلى نص ثوري

وإلى عمل يعد بالفجر الجديد. وبالنسبة إلى بوخنر، لا يمكن هذا الفجر الجديد إلا أن يكون إنسانيًا، من دون مثل عليا ومن دون بطولات خارقة. ولنتذكر أن بوخنر، حين كتب "موت دانتون" كان في طريقه الحاسم للتعبير عن بطل - مضاد "آخر" وتأسيسي هو "فويزيك" (الشخصية الرئيسة في مسرحيته التالية والأخيرة، والتي ستكون الأكثر شهرة).

وفي إطار هذا التأسيس كان يمكن الفيلسوف، وعالم الجمال الكبير، ليسنغ أن يكتب في "درامية هامبورغ" أن ليس في وسعنا أن نشعر بتعاطف إنساني إلا تجاه أبطال من البشر يمكننا أن نشعر أن في إمكاننا التماهي معهم. إن على البطل أن يخطئ... يجب عليه أن يسقط، فارتكاب الخطأ وحده يمكنه أن يقربه منا، ذلك أن "المصير التراجيدي الذي يعرفه البطل الإنسان لا يقوم إلا في تجاوزه لعدم اكتماله، بغية تأكيده على كرامته الإنسانية."

والحقيقة أن هذا يلتقي مع ما كان جورج بوخنر يقوله من أن "وجود المثل الأعلى ليس سوى الاحتقار الأكثر إثارة للاشمئزاز الذي يمكن الطبيعة البشرية أن تجابه به."

مدونات تاريخية

ويمكننا أن نتصور، تتحدث مسرحية "موت دانتون" عن فصل أساس من فصول الثورة الفرنسية. وهي

تتألف، في الأساس، من مقاطع وفقرات تبدو في شكل مدونات تاريخية.

ومنذ البداية تكشف لنا المسرحية كيف حدث الافتراق بين دانتون وروبسبيير، بطلي الثورة. وهنا لدينا دانتون وقد أدرك، وفق تعبيره، أن الثورة لم تتمكن من الوصول إلى أهدافها الحقيقية، لأن قوانين التاريخ الفولاذية لا يمكن تبديلها بين ليلة وضحاها، لذلك نراه يغوص في نوع من القدرية مفضلًا الغوص في ملذاته الخاصة على مواصلة السعي ضمن إطار الشأن العام.

وفي الوقت نفسه ينصرف روبسبيير الذي تتسم مواقفه بالجمودية واليقينية والابتعاد الكلي من كل ما هو ذاتي، ينصرف إلى مواصلة "ثورته" وقد آلى على نفسه، هذه المرة، أن يتخلص من كل من كان يعتبرهم "أعداء الثورة" ولو عبر حمام دم لا ينتهي. صحيح أن دانتون يشعر بالخطر محدقًا به وبكماشة روبسبيير مطبقة على عنقه، لكنه يظل على إيمانه بأن مساهمته في قيادة الثورة وشعبيته، كفيلتان بحمايته من خطر رفيقه وجبروته. لذلك يجد في نفسه الجرأة على أن يواجه روبسبيير ليقول له إن حمام الدم يجب أن يتوقف إذ "كفى! فأبرياء كثر قد سقطوا ضحايا حتى الآن!". ويجيبه روبسبيير بأن الفضيلة لا يمكنها، والطبع الإنساني كما هو، أن تنتصر إلا من طريق الخوف. وبعد هذا الحوار القصير بين دانتون وروبسبيير، يقرر هذا الأخير أن الوقت حان للتخلص من رفيقه.

صراعات الإخوة

صحيح أنه خلال المحاكمة التي تجرى لدانتون، يقوم عدد من رفاقه بالدفاع عنه ومن بينهم ليجاندر، غير أن روبسبيير يتمكن من تأليب العدد الأكبر من النواب ضد رفيقه القديم. وحين يتحدث دانتون مدافعًا عن نفسه تتحرك الصالة، ويقرر الجنرال ديون أن يحرر دانتون من سجنه، عبر مؤامرة سرعان ما تكشف ما يجعل سان - جوست يطالب برأس دانتون كمتآمر هذه المرة. صحيح أن الشعب المتجمع خارج قصر العدل لا يصدق التهم الموجهة إلى دانتون، لكنه يبدو حائرًا، إذ يقارن بين نمط حياة دانتون المترف، ونمط حياة غريمه روبسبيير الزاهد.

وهذا ما ينقلنا إلى المشاهد الأخيرة التي تبدو أكثر حميمية، إذ تتدخل فيها زوجتا السجينين المحكومين دانتون وديمولين، لا سيما جولي زوجة الأول التي تبلغ زوجها في سجنه أنها ستنتحر إذا أعدم حقًا، فيما تفقد لوسيل زوجة ديمولين عقلها. وبالفعل إذ يساق الرجلان إلى الإعدام وينهمكان في وداع بعضهما بعضًا، تنتحر جولي و... ينتصر روبسبيير، ريثما يسوء مصيره هو الآخر ولكن... خارج المسرحية.

3 مسرحيات لحياة قصيرة

قامت سمعة جورج بوخنر ككاتب مسرحي فقط انطلاقًا من ثلاث مسرحيات وحيدة كتبها خلال عامين هما 1835 و1836، أي قبل رحيله بشهور قليلة. فبوخنر الذي

ولد في غودلاو قرب دارمشتادت عام 1813 مات بمرض الطاعون عام 1837 ولم تكن سنه تزيد على 23 سنة وأربعة أشهر.

والحال أن شهرته لن تصل إلا متأخرة، إذ خلال القرن الـ19 سيبدو إخوته (الفيلسوف لودفيغ، والكاتبة المناضلة النسائية لويز، والمترجم والأستاذ الجامعي ألكسندر) أكثر شهرة منه بكثير.

ولكن، ما إن حل القرن الـ20 حتى أعاد ماكس رينهاردت اكتشاف مسرحيات بوخنر، وبدأ يقدمها تباعًا، موصلًا شهرة هذا الأخير إلى الذروة، ليس فقط ككاتب مسرحي، بل كذلك ككاتب سياسي يساري ذي نزعة إنسانية، وكباحث في علوم التشريح، ثم كمترجم لمسرحيتين لفيكتور هوغو إلى الألمانية. مهما يكن، فإن حياة بوخنر كانت من القصر حيث لم تترك مجالًا ليعيش أحداثًا جسيمة، فكانت كتاباته أهم أحداث حياته، ولا تزال تبهر، حتى اليوم، ممثلين ورسامين وموسيقيين ومخرجين سينمائيين، كان من أبرزهم فرنر هرتزوغ الذي حول مسرحية "فويتزيك" إلى فيلم مميز، ثم البولندي أندريه فايدا الذي بنى فيلمه "دانتون" مستندًا إلى مسرحية بوخنر.

ملحق 3

ماكسيميليان دي روبسبير
المحامي وخطيب الثورة الفرنسية

موقع الجزيرة نت، 26 مايو 2023.

ماكسيميليان دي روبسبير

ولد عام 1758 وتوفي عام 1794. محام فرنسي عرف بموقفه المعادي والرافض للنظام الملكي في البلاد، كان أحد أكثر الشخصيات تأثيرًا في الثورة الفرنسية، انتخب عضوا بالجمعية الوطنية (مجلس النواب) وتولّى عددا من المناصب العليا بالجمعية التأسيسية والهيئة التنفيذية وغيرها من المؤسسات السياسية التي برزت بعد الثورة.

وكان من المنادين بإعدام الملك لويس الـ 16 مما منحه شعبية ونفوذا كبيرين، حتى رشحه الشعب وقيادات الثورة لتولي قيادة الحكومة التي تلت إسقاط نظام الملك.

وأعدم روبسبير أكثر من 16 ألف شخص من عام 1793 حتى عام 1794 ثم قرر أعضاء الحكومة وقيادات الثورة التخلص منه باعتقاله ثم إعدامه بـ "المقصلة" رفقة 100 من أعوانه.

المولد والنشأة

اسمه الكامل "ماكسيميليان ماري إيزيدور دي روبسبير". ولد في 6 مايو/أيار 1758 في بلدية "أراس" الواقعة أقصى الشمال الفرنسي والتابعة لمقاطعة "با دو كاليه".

وهو الابن الأكبر لماكسيميليان بارتيليمي فرانسوا دي روبسبير، المحامي في المجلس الأعلى لبلدية "أرتوا"، والدته جاكلين مارغريت كاروت، ابنة صانع خمور في بلدية "أراس".

وله شقيقتان أصغر منه، هما شارلوت وهنرييت، وشقيقان أصغر وهما أوغستين وبنيامين الذي ولد وتوفي في اليوم نفسه عام 1764.

وتوفيت والدته في 15 يوليو/تموز 1764 وهو في السادسة من عمره، مما جعل والده يتخلى عن تربيته مع إخوته، فاتجهت شقيقتاه للعيش عند خالاتهما، أما هو وشقيقه أوغستين فقد احتضنهما جدهما لأبيهما.

ولم يتزوج ولم يقترن بأي امرأة، وعاش حياة متواضعة جدا في مسكن بسيط تعود ملكيته لنجّار يدعى "دو بلاي" لدرجة تلقيبه بالرجل النزيه الذي "لا يمكن شراء ذمته".

الدراسة والتكوين

عام 1765، دخل روبسبير مدرسة "أراس"، وعام 1769 تمكّن من الحصول على منحة دراسية قدرها 450 جنيها إسترلينيا سنويا من دير "سانت فاست" ليلتحق بكلية "لويس الأكبر" في باريس، ثم حصل على درجة البكالوريوس في القانون يوم31 يوليو/تموز 1780.

وفي 15 مايو/أيار 1781 أدرج اسمه في سجلّات محامي البرلمان بباريس، ثم عاد إلى مسقط رأسه "أراس" حيث استقر مع أخته شارلوت.

وسجّل اسمه بالمجلس الإقليمي لبلدية أرتوا في 8 نوفمبر/تشرين الثاني 1781، وبدأ في الترافع يوم 16 يناير/كانون الثاني 1782، ثم عُين قاضيا في المحكمة الأسقفية في 9 مارس/آذار من السنة نفسها.

التجربة الفكرية والسياسية

من المواقف التي كان لها أثر كبير في نفسه، وجعلته يمقت النظام الملكي، عندما وقع اختياره فترة دراسته للقانون لإلقاء بيان الترحيب بالملك لويس الـ 16 بعد تنصيبه، ولكن الأمطار الغزيرة التي كانت تهطل على العاصمة ذلك اليوم جعلت الملك يرفض النزول من العربة، مما اضطر روبسبير إلى الخروج وإلقاء بيان الترحيب أمام عربة الملك وتحت الأمطار.

وأثناء ممارسته مهنة المحاماة، عرف روبسبير بقدرته على الإقناع والمحاججة، ما جعل بعضًا من

مرافعاته تعتبر من أشهر المرافعات في المحاكم الفرنسية، وجعلت منه شخصية بارزة في مدينته.

وعام 1786 عين كاتبًا عامًا ثم مديرًا لأكاديمية الآداب والعلوم والفنون ببلدية "أراس". هذا الصعود السريع في السلّم الاجتماعي قوبل بالنبذ من طرف المواطنين المحليين نظرا لمجاهرته (سواء في أحاديثه أو كتاباته) بنقد الفساد، الذي استشرى في مرفق العدالة آنذاك، ووجّه انتقاداته خصوصا إلى طبقة النبلاء التي اتهمها بالسعي إلى المحافظة على امتيازاتها الاجتماعية والاقتصادية عبر إخضاع العدالة لنزواتها.

ومثلت هذه المواجهة مع النبلاء البوابة التي دخل عبرها روبسبير عالم السياسة، حيث مكّنه هذا "التطرّف" غير المألوف في المواقف من الفوز ولو بصعوبة بانتخابات عضوية الجمعية العامة سنة 1789 ممثلا عن الطبقة الثالثة، وهي تسمية لممثلي الشعب تلك الفترة، وتأتي في الترتيب بعد أعضاء الطبقة الأولى من النبلاء، ثم أعضاء الطبقة الثانية من رجال الدين.

وتمكّن من لفت الأنظار إليه عبر مداخلاته الكثيرة بالجمعية العامة، والتي تجاوزت ألف مداخلة من عام 1789 إلى عام 1794، وكشفت عن مدافع شرس مؤمن بعلوية المصلحة العامة للشعب.

وإثر سقوط "سجن الباستيل" في 14 يوليو/تموز 1789، اعتبر روبسبير أن الطبقة الأرستقراطية لم تستسلم رغم محاولتها إظهار تعاطفها ودعمها للحركة

الشعبية التي هزت البلاد، وأنها تترصّد اللحظة المناسبة لقطف ثمار الثورة.

وكان دفاعه عن الحركات الشعبية مهيمنًا على خطاباته التي جعلت الصحف الثورية تهتم بنشرها حتى بعد أن عزل وأبعد عن المشاركة بالمرحلة التأسيسية التي تلت الثورة، ومن ثم فإن إصراره على مواصلة نشر أفكاره وخطاباته جعل الانطباع العام حوله يعتقد جازما بانتصاره للشعب ضد الطبقة الأرستقراطية، حيث كان دائم المطالبة بتحرير المضطهدين والمستعبدين في المستعمرات وتمكين الشعب من حقوقه الأساسية.

كما كانت له مواقف رافضة لعقوبة الإعدام ودور رجال الدين في الحياة العامة، إضافة إلى مطالبته بإعادة هيكلة وتنظيم الجهاز القضائي والأجهزة الأمنية الفرنسية.

وقد مثلت قيمة المساواة لدى روبسبير ركيزة أساسية في المبادئ التي تبنّى الدفاع عنها، حيث اعتبر أن "العدالة المطلقة إذا لم تقترن بحب المساواة والوطن فإن كلمة الحرية في الجمهورية لن تعدو أن تكون كلمة فضفاضة خالية من كل المعاني".

ولم تكن جملة مبادئ الديمقراطية الاجتماعية -التي دافع عنها وحاول نشرها في مجتمع لا يزال يتحسس طريقه الجديد بعد الثورة- مطية لتحقيق أهداف في معركة سياسية، بل اعتبرها معركة أخلاقية تتخذ ركيزة أساسية لهذه المبادئ الكونية من مبدأ الفضيلة الذي تحدث عنه

الفيلسوف الفرنسي شارل لويس دي سوكوندا المشهور بـ "مونتسكيو" والذي تأثر به روبسبير.

معركة روبسبير

لم يشك روبسبير في وجود مؤامرة تقودها الطبقة الأرستقراطية ضد التحركات الشعبية بغية العودة للسلطة والامتيازات التي أتيحت لهم على مدى قرون من تاريخ فرنسا، وعام 1790 ترأس "حركة اليعقوبيين" (Les Jacobins) الذين يسمون أيضا بأصدقاء الدستور، الذين كانوا من الداعمين والمسوقين للثورة، وبذلك انتخب عضوا في المؤتمر الوطني.

وكان المؤتمر منقسمًا بين تيارين متعارضين: تيار "الجيروندبين" ((Les Girondins ممثلي الطبقة النبيلة الأرستقراطية، وكان معظمهم ينتمون لمنطقة "جيروند" وتيار "بدو الجبال" (Les Montagnards) وكان روبسبير أحد رموزه، وهو التيار الذي كان غالبًا في الثورة وشكل نواة ما سيعرف فيما بعد باليسار الفرنسي.

في 31 مايو/أيار 1793 وبقيادة روبسبير أطاحت جبهة "بدو الجبال" في المؤتمر الوطني بالغريم السياسي "الجيروندبين" الذي كان يدافع عن مصالح الأرستقراطيين.

وفي 27 يونيو/حزيران من العام ذاته، وصل روبسبير إلى أوج قوّته السياسية حيث أصبح عضوا في لجنة الإنقاذ، التي تأسست في 6 أبريل/نيسان 1793، وهي أوّل لجنة

أسسها المؤتمر الوطني وانبثقت عن الحكومة الثورية لمواجهة خطر الاحتلال والحرب الأهلية، إضافة إلى مراقبة الوزراء وبسط هيمنة الدولة.

وفي يوليو/تموز بدأ تيار "بدو الجبال" الاقتراب من التطرف السياسي انطلاقا من فكرة روبسبير حول الفضيلة التي يجب أن تعتمد القوة والرعب حتى تنتصر.

وساهم روبسبير في محاكمة وإعدام العديد من المعارضين للحكومة الثورية، وحتى العديد من الشخصيات السياسية التي ساندته خلال مسيرته، والتي أبدت بعض التحفظ على سياساته وقراراته على غرار جورج جاك دانتون وجاك روني هيبار.

وفي يونيو/حزيران 1794 أصبح رئيسًا للمؤتمر الوطني، وبذلك تمكّن من إحكام السيطرة على السلطة الأعلى في البلاد، ومع شعوره المتزايد بضرورة إحكام قبضته على السلطة أرسى قانون "الشبهة" الذي يتيح محاكمة وإعدام أي شخص بناء على تصريحاته أو حتى تصرفاته التي يمكن أن "توحي" بأنه معارض للنظام الجديد.

وهذا الإجراء الجديد، المثير للخوف من تساقط مزيد من رؤوس الشخصيات السياسية، أثار حالة من التململ في صفوف أعضاء المؤتمر الوطني، إضافة إلى معارضة لجنة الأمن العام لهذا القانون الجديد، وبذلك بدأت تتكون جبهة معارضة لروبسبير، مع تواصل حملة الإعدامات التي لم تتوقّف في كامل أنحاء فرنسا، حيث وصلت أعداد الموقوفين بالسجون إلى نصف مليون

مواطن وأعداد الذين نفّذ فيهم حكم الإعدام بالمقصلة 16 ألفا.

السقوط

اعتزل روبسبير المؤتمر الوطني، حيث لم يعد يباشر مهامه من المقر الرسمي مكتفيا بمتابعة مجريات الأحداث من مقر إقامته الشخصي، الأمر الذي فسّره المؤرخون على أنه إحساس بالتعالي عن المؤسسات الرسمية للبلاد ورسالة مبطنة للشعب بعدم جدواها.

وهذا الاعتزال والعزوف عن مباشرة المهام من مقر المؤتمر أثار العديد من التساؤلات، وجعل الأمور أكثر ضبابية لدى الشعب والساسة على حد سواء، خاصة وأن روبسبير اعتمد طوال مسيرته على قوّة الكلمة والخطب الثورية التي تحشد الداعمين لسياساته.

وقد ذهب بعض المؤرخين على غرار "جويل شميت" إلى القول إن اعتزال روبسبير كان جراء انهيار عصبي حاد نتج عن قناعة تولدت لديه بفشل السياسة التي اتبعها، وهو ما ساهم في ارتفاع وتيرة ونسق الإعدامات التي تم تنفيذها في جل المدن الفرنسية.

وفي 26 يوليو/تموز 1794 ألقى خطابًا مطوّلًا أمام أعضاء في المؤتمر الوطني وعد فيه بتطهير اللجان ومعاقبة الخونة في صلب أعضاء المؤتمر، دون توجيه اتهام لأشخاص معينين، مما أثار موجة من الحنق والغضب أدت إلى تقارب بين الفرقاء السياسيين ولجنة الأمن العام.

وفي محاولة منه لامتصاص غضب المؤتمر، حاول روبسبير إلقاء خطاب جديد يوم 27 يوليو/تموز "أكثر اعتدالا" من سابقه، ولكنه هذه المرة منع من الكلام في مشهد ثوري جديد أعلن رفضه بصفة مباشرة وحادة، وتعالت أصوات مطالبة بالإيقاف الفوري لروبسبير وأعوانه.

واستطاع روبسبير الخروج من مقر المؤتمر الوطني والعودة إلى مقر البلدية وأصدر أمرا باقتحام المؤتمر ولكن قوات الأمن العام تراجعت عن التنفيذ، مما دفع بالحشود الغاضبة من مناصري أعضاء المؤتمر إلى إعلان روبسبير وأعوانه خارجين عن القانون، الأمر الذي سمح بإعدامهم دون محاكمة، ثم توجهوا نحو مكان وجوده وألقوا القبض عليه في 28 يوليو/تموز 1794 الساعة الثانية فجرًا.
وهناك رواية تقول إن روبسبير حاول الانتحار وأطلق النار على نفسه لكنّه أصاب وجهه في منطقة الذقن إصابة بالغة غير قاتلة، ورواية ثانية تفيد بأن أحد أعضاء لجنة الأمن العام هو من أصابه في وجهه على ذلك النحو.

انتقادات

تعرّضت شخصية روبسبير أثناء مسيرته السياسية وبعد إعدامه لعدد من الانتقادات التي أرادت تحميله مسؤولية الأحداث التي طبعت فترة "الرعب" أو "الإرهاب" كما اصطلح على تسميتها لاحقا، والتي امتدت من عام 1793 إلى 1794.

واعتبره بعض الناقدين والمؤرخين شخصًا متناقضًا بصفة تدعو إلى الاستغراب، يسبح في عالم النظريات والمبادئ المجرّدة التي استقاها من مؤلفات الفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو" دون أي خبرة ميدانية للممارسة السياسية.

ومن الانتقادات الأخرى التي طالته:

- عدم نجاحه في تكوين أسرة وعدم اضطلاعه بوظيفة إدارية أو تسييرية رسمية.
- إخفاقه في تحقيق استقراره الذاتي حيث عاش حياته يتسول مسكنًا بسيطًا.
- انعزاله عن الشعب الذي كان محور خطاباته متصدّرا أولوية اهتماماته جعلت منه محل انتقادات واسعة وصلت حدّ التشكيك في صحّته النفسية والسلوكية.
- دفاعه عن الطبقات الفقيرة والمسحوقة اجتماعيا ولكنه في المقابل رجل أنيق جدًا إلى درجة تجعله يقضي ساعات طويلة أمام المرآة للاهتمام بمظهره ولباسه.
- رفضه عقوبة الإعدام ولكنه لم يتردّد في إرسال آلاف المعارضين إلى المقصلة.
- معاداته للنظام الملكي، لكن في المقابل كان يبدي إعجابًا مستترًا بالملكة ماري أنطوانيت زوجة لويس الـ 16.

مؤلفاته

كتب روبسبير ورقات عبّر فيها عن مواقفه من الثورة ورؤيته للمجتمع ولمختلف مكونات مشهده السياسي، نشرت في الصحف الفرنسية الثورية، وجمعت سنة 1830 في مجلدين أصدرتهما دار "مورو روزي للطباعة والنشر" في باريس، وضم المجلدان كامل مشاريع القوانين والمقترحات والقرارات التي كتبها وعرضها على المؤتمر الوطني.

إعدامه

مساء 28 يوليو/تموز 1794 اقتيد روبسبير في حالة أقرب منها للموت من الحياة جراء الإصابة التي تعرض لها، ونفذ فيه حكم الإعدام بالمقصلة.

ملحق 4

إبراهيم هنانو VS ماكسميليان روبسبير

صهيب عنجريني، جريدة الأخبار اللبنانية، 1 إبريل 2015

في تشرين الأول 1919 قرّر ابراهيم سليمان هنانو الانسحاب من المؤتمر السوري، وأعلن الثورة على المحتل الفرنسي في شمال سوريا. لم يكن هذا الفعل الثوري الأول في حياة الرجل، فبعدَ إتمامه مرحلة التعليم الثانوي حاول والده منعَه من إكمال تعليمه العالي لأن "ابن الآغا ليس بحاجة إلى التعليم". لكنّ الشاب رفض ذلك المنطق، وأخذ أربعة آلاف ليرة ذهبية (هي نتاج محاصيل أراضيه الزراعية) دون رضا والده وسافر إلى الآستانة، حيث التحق بالكلية الملكية الشاهنية للحقوق والإدارة.

بعد انسحابه من المؤتمر، كان أول عمل بارز قام به هنانو أنه جمع أثاث بيته وآلاته الزراعية وأحرقها معلنًا بذلك بداية الثورة. قبلَ ذلك بنحو قرنين، اشتهر في فرنسا حقوقيٌّ من نوع آخر، كان اسمه ماكسميليان روبسبير. الأخير تحوّل إلى واحدٍ من أبرز الشخصيات الفاعلة في مسار الثورة الفرنسية، وانتُخب رئيسًا لـ "المؤتمر الوطني". "الثائر" روبسبير الذي يُعتبر رأس الجمهورية الفرنسية

الأولى قاد عهدًا عُرف بـ "عهد الإرهاب"، وكان أبرز إنجازاته أنّه أعدمَ نحو ستة آلاف شخص في ستة أسابيع! وإذا كانت الفوارق بين النموذجين الثوريين أوضحَ من أن تُعرّف، فالثابتُ أنّ "الثوّار" الذينَ حطّموا تمثال الأول بما يمثله من رمزية إنّما كانوا ينتصرون للنموذج "الروبسبيري" بالغريزة.

وفي ظلّ رواج أنباء مفادُها أنّ "مُحطّمي تمثال هنانو ظنّوا أنهم يحطمون تمثالًا لحافظ الأسد"، فالمؤكّد أن هؤلاء لم يسمعوا بروبسبير أصلًا. لكنّهم سمعوا على الأغلب بعض "المُفكرين الثوريين" الجدُد وهم يُعلون شأن الثورة الفرنسية، ويعتبرونها مثالًا على أن العمل الثوري "لا يمكنه أن يكون أفلاطونيًّا"، وأنّ "الأخطاء لا بدّ منها، ولا بأس فيها"، فـ "المعوّل على النتائج".

والحالُ أنّ هؤلاء المُنظرين هم القاطعون الفعليّون لرأس تمثال هنانو، كما لرأس تمثال أبو العلاء المعرّي قبلَه. لا حاجةَ إلى إعادة تأكيد المؤكد، والتكرار دائمًا أنّ الواقع السوري قبل 2011 كان يستحقّ ثوراتٍ، لا ثورةً واحدةً فحسب. لكن، إذا صحّ التسليم بأنّه "ما من ثورة نظيفة"، فإنّ ذلك لا يعني بحال من الأحوال أنّ ما حدثَ قبل أكثر من مئتي عام قابلٌ للتطبيق اليوم! إلّا إذا كان الهدف المنشود النكوصَ بالعقل البشري قرنين إلى الوراء، قفزًا فوقَ كلّ ما راكمَه الوعي المعرفي من قيمٍ ومفاهيم. المفارقةُ أنّ عددًا غير قليل من "المفكرين والمُنظرين الثوريين الجدد" دأبوا على المسارعة إلى استنكار أي فعل مشابهٍ،

سواء طاول البشر أو سوى ذلك، وكأنّ الاستنكار كفيلٌ بتقديم صكّ براءة أخلاقيّة.

أو كأنّه كافٍ ليمحو حقيقةَ التبرير المسبق لكل الجرائم المماثلة بمجرّد الترويج سلفًا لمفاهيم من قبيل "ليس مطلوبًا من الثورة أن تكون نظيفة". لكن مهلًا، كلّ ما تقدّم سيغدو بلا أدنى قيمة حين يتّضح أنّ "مُحرّري إدلب" لم يتعاملوا مع نصب الزعيم بوصفه تمثالًا، بل بوصفه "صنمًا وثنيًّا"، لتكونَ المسافةُ الزمنية التي ستنقلنا "آلة الزمن الثورية" عبرَها أكبر بكثيرٍ من المائتين.

أشهرٌ قليلة تفصلنا عن الذكرى الثمانين لوفاة الزعيم السوري الكبير الذي توفي في تشرين الثاني 1935، من دون أن يرى حلمَ الجلاء وقد تحقّق. وللمفارقة، ندخل اليوم شهرَ الجلاء. للمفارقة أيضًا، كانت محكمة عسكرية فرنسيّة قد أصدرَت حكمًا ببراءة ابراهيم هنانو من جرم "تشكيل عصابة من الأشقياء"، مقدّمة إقرارًا ضمنيًّا بشرعيّة ثورته، حدث ذلك في 18 آذار لكن عام 1922!

هامش: كُتب على قبر روبسبير: «أيها المارُّ من هنا لا تحزن على موتي، فلو كُنت حيًّا لكنت أنت ميتًا».

ملحق 5

الدولة اللائكية الفرنسية والاستبداد الحديث

رفيق عبد السلام، 10 ديسمبر 2005

غالبًا ما يقدم الفرنسيون نظامهم الجمهوري اللائكي (أي العلماني) باعتباره النموذج الأمثل في مجال الاجتماع السياسي، ليس فقط بالنسبة للفرنسيين أو الأوروبيين، بل لعموم البشرية في مختلف قارات العالم، لما يقوم عليه هذا النظام من أسس حداثية وتنويرية غير مسبوقة على حد زعمهم.

وفعلًا مثلت التجربة الفرنسية وما زالت بالنسبة للكثير من النخب الفكرية والسياسية سواء في العالم العربي أو في غيره من مواقع العالم الأخرى، نموذجا ملهمًا ومثالًا يحتذى.

ورغم ما يطفو اليوم على النموذج الجمهوري اللائكي الفرنسي من أزمات عميقة وأعطاب واسعة على نحو ما أفصحت عنه اضطرابات الضواحي الباريسية التي ألهب وقودها أبناء المهاجرين من أصول عربية وأفريقية، فضلا

عما يطبعه من مظاهر تهميش وتمييز خفي ومعلن، فإن الفرنسيين لا يكفون عن التعلق بادعاءاتهم الوثوقية والتبشيرية بالحل الجمهوري اللائكي.

وما يتم تجاهله غالبًا في ثنايا الخطاب التبشيري اللائكي بشقيه الفرنسي والعربي ما تحمله التجربة الفرنسية من أبعاد تسلطية مخيفة ومتوارية خلف ادعاءات الحرية والمساواة والتحرر.

وحسبنا أن نشير هنا إلى بعض هذه الملامح التسلطية الملازمة للنموذج الجمهوري اللائكي الفرنسي.

تتأسس اللائكية الفرنسية على نزعة تدخلية صارمة وثقيلة الوطأة للدولة، وتقوم هذه النزعة التدخلية بدورها على دعامة نظرية مفادها اعتبار الدولة اللائكية ضامنة الوحدة الاجتماعية والسياسية وحارسة الهوية العامة، وذلك بحكم قدرتها "الخارقة" على تجاوز الانقسامات الاجتماعية والقيمية التي تنخر الجسم السياسي، ومن ثم قدرتها الفائقة على التعبير عن المصلحة العامة المتجاوزة للمصالح الجزئية والعينية للأفراد والمجموعات.

وتتأسس هذه الفكرة بدورها على تقليد أنواري مبكر يشدد على شفافية السياسي وقدرته على بلورة الإرادة الكلية والعامة، أي قدرته على التعبير الوفي عن المصالح الكلية والجامعة التي تشمل مجموع الأفراد والجماعات، ومن ثم التعالي عن ظاهرة الانقسام الديني والطائفي والعرقي والطبقي التي تشق الجسم السياسي والاجتماعي.

وتعود جذور هذه الفكرة إلى القرن الثامن عشر وتحديدًا إلى الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو الذي عدّ الدولة بمثابة الإطار المعبر والمجسد للإرادة الكلية للمواطنين، وهي إلى جانب ذلك قوة ناظمة ومتعالية عن مجموع المصالح الفردية والجزئية.

ومن المعلوم هنا أن التعلق الشديد بالدولة عند الفرنسيين لم يكن مبنيًا على اعتبارات فكرية أو نظرية محضة بقدر ما كان محكوما بمشكلات عملية فرضتها سياقات التجربة الفرنسية نفسها.

فقد تميزت الحالة الفرنسية بصفة عامة، بما في ذلك زمن الملكية بوجود دولة تدخلية ومركزية، متساندة مع سلطة كنسية شديدة الضبط وبالغة القهر.

ومع تراجع دور الكنيسة على ضوء مجمل الصدمات التي تلقتها بعد الثورة، امتصت الدولة الجمهورية اللائكية جل الخصائص الهيكلية والبنيوية للمؤسسة الكنسية الكاثوليكية وافتكت جل الوظائف التي كانت موكولة إليها، بما في ذلك وظيفة فرض الوحدة الاجتماعية والسياسية على مجتمع منقسم على نفسه طائفيًا وعرقيًا، وإحلال التجانس الثقافي واللغوي.

الدولة عند اللائكيين الفرنسيين ليست مجرد أداة لتنظيم الشأن العام، ولا هي مجرد مؤسسة وظيفية لإدارة حياة الناس وتصريف أحوالهم ومعاشهم، بل هي "صوت الأمة" و"روح" الشعب.

وهي إلى جانب ذلك موضع حلول العدالة الكاملة والخير الأعظم، وهذا ما يعطيها مشروعية التدخل على النحو الذي تريد وفي الوقت والموضع الذي تريد لفرض قيمها وتصوراتها الخاصة على الأفراد والجماعات، مفترضا فيها أن تكون القيم العامة والكلية للمجتمع نفسه، بحيث تتطابق مصالح المجتمع مع مصالح الدولة، وتنصهر الإرادات العينية والجزئية للمواطنين في الإرادة العامة والكلية التي تعبر عنها الدولة اللائكية.

من الواضح هنا أن الفكر السياسي الفرنسي يقوم على خيرية الدولة وشفافيتها بما يجعلها جديرة بتجسيد وحماية القيم السياسية النبيلة، وفي مقدمة ذلك قيمتا الحرية والمساواة.

وهنا يتساوق الدور التدخلي والإكراهي للدولة الفرنسية على نحو ما تجسد ذلك في تجربتها التاريخية الحية، مع نظرية سياسية متمركزة حول الدولة.

تشتغل اللائكية الفرنسية عبر ذراعين متكاملتين ومتعاضدتين: أولًا عبر آلية الرقابة والضبط العقابي للدولة الجمهورية اللائكية التي تقوم على "حراسة" القيم الجمهورية اللائكية وضبط حدود المباح والممنوع من منظار هذه الدولة.

وثانيًا، عبر أدوات التوجيه الثقافي والأيدولوجي التي تتم بمقتضاها صياغة الشخصية الفردية، وشحن الفضاء العام بالقيم الدهرية المعلمنة وعلى رأس ذلك مؤسسة المدرسة والترشيد التربوي.

ولعل هذا ما يفسر كثرة الضجيج والسجال الذي يثيره الفرنسيون حول دور المدرسة والتعليم بما لا نظير له لدى أمم أخرى في العالم.

فاللائكية الفرنسية لا تكتفي بتحرير السياسي من سيطرة الكنيسة وإنما تراهن على مقارعة الدين عامة وطرده من الفضاء العام لتحل محله "القيم اللائكية الصلبة"، وهنا تحل المدرسة محل الكنيسة في إعادة صياغة الوعي الفردي والجماعي.

كتب فرديناند بويسون زمن الجمهورية الثالثة عام 1912 في معرض دفاعه عن مشروعية المدرسة اللائكية "إن للكنيسة معقوليتها الخاصة ومن ثم ليس أمام المرء إلا أن يكون معها أو ضدها، كما أن المدرسة اللائكية هي الأخرى لها اسمهما وهويتها الخاصة والمحددة. ومن ثم على المرء أن يختار بين المدرسة العقلانية والمدرسة الإكليروسية لأنه لا توجد منطقة وسطى بينهما".

فتحت الثورة الفرنسية الباب على مصراعيه أمام ظهور أنماط استبدادية جديدة وغير مسبوقة، استبدادية تعتمد على الأنياب الحادة لدولة مركزية وتدخلية وذات ادعاءات تنويرية. فقد كانت الثورة الفرنسية حاملة لبذور الاستبداد "الحديث" على نحو ما سيبرز لاحقا في الأنظمة الفاشية والنازية والشيوعية وغيرها.

وما يجمع هذه الأنماط التسلطية على اختلاف أنواعها وأسمائها تعلقها المفرط بالدولة والعمل على تغيير شروط الوجود البشري بصورة مثالية وحالمة عن طريق

تدخل الفعل السياسي المبرمج والمخطط لذي تحتل فيه الدولة موقع الصدارة والتوجيه.

ونخلص من ذلك إلى القول بأن اللائكية الفرنسية ليست مجرد آلية سياسية لمعالجة قضية الانقسام الديني أو الطائفي، بل هي أشبه ما يكون بالعقيدة الشمولية والصارمة التي تراهن على الحلول محل الأديان والعقائد بعد امتصاص الكثير من مظاهرها وتعبيراتها في قالب دهري معلمن.

ودليل ذلك ما تحاط به اللائكية الفرنسية من تقديس ومحرمات، ما يجعل المرء عرضة للتجريح والإدانة بمجرد الاعتراض على بعض التصورات أو المسلكيات اللائكية، أو مجرد الحديث عن محدودية الحل العلماني.

وفي الجملة يمكن القول إن الثقافة السياسية الفرنسية على نحو ما تشكلت في مبدأ اللائكية ومرادفها الجمهورية قامت على نزوعات جذرية مدمرة لا تعرف معاني التوسط والوفاق.

ويبرز ذلك جليًا من خلال صعود اليعاقبة وتحويلهم الساحة السياسية والثقافية الفرنسية إلى ساحة حرب مفتوحة في إطار ما سمي وقتها بسنوات الرعب أو ما أسماه روبسبيير بإرهاب الحرية.

وحالة الرعب هنا لا تعني مجرد حقبة من حقب الثورة الفرنسية -تلك التي تمتد بين مجازر سبتمبر/أيلول 1792 إلى غاية سقوط روبسبيير في يوليو/تموز 1794-

بقدر ما هي نمط كامل في إدارة الحكم وفي تصور السياسي، لازم الثورةَ منذ ولادتها واستمر معها لعقود متتالية من الزمن وما زال يحكمها إلى يوم الناس هذا.

والمقصد هنا ذلك النمط من الحكم الذي يستدعي القوة والحسم الجذري في التعاطي مع السياسة وقضايا الاجتماع باسم ادعاءات حداثية وتنويرية، وهو إرهاب يتراوح بين الاستخدام الفج والصريح للعنف المنظم من طرف مؤسسات الدولة وأجهزتها، وبين العنف "الصامت" الذي يقوم على سن تشريعات قانونية تعسفية وحامية لإرهاب الدولة المنظم.

وفعلًا، كانت مخاوف الفيلسوف الإنجليزي المحافظ إدموند بيرك في محلها حينما كتب منذ وقت مبكر وقبل أن يستوي مشهد الثورة على صورته الجلية (عام 1790) يقول إنه يتوقع للفرنسيين "رحلة طويلة وشاقة في عالم الفوضى وعتامة الظلمة".

وذلك بحكم ما يطبع الثورة الفرنسية من وحهة نظر بيرك من تعلق بالمجردات والمثل بدل الاستناد إلى الخبرة السياسية الحية، رادا ذلك إلى قلة دراية وخبرة منظري الثورة بأحوال السياسة وأوضاع الاجتماع السياسي المعقدة.

ومن مظاهر ذلك التعلق بتصورات مثالية للزمن والتاريخ، العمل على صنع تاريخ ونمط من الاجتماع السياسي مطلق الجدة وفي قطيعة مطلقة مع الماضي،

فضلًا عن السعي إلى صنع مفهوم مجرد ومتعال للمواطنة لا علاقة له بالواقع وممكناته الفعلية.

وذلك بالإضافة إلى ميل أهل تلك الثورة إلى الحلول الجذرية والقصوى بدل البحث عن الحلول الوفاقية الوسطى.

وبغض النظر عن الدوافع المحافظة، بل العنصرية في الكثير من الحالات التي حكمت المفكر الإنجليزي، فإن أهمية مقاربته للثورة الفرنسية تكمن فيما قدمه من تشخيص وتساؤلات لا في نوعية الإجابات التي ركن إليها، ولعل هذا ما يعطي أهمية لتأملاته الثاقبة حول الثورة الفرنسية.

من المعلوم هنا أنه قل وندر أن تركزت الأنظار والكتابات حول إرهاب الثورة الفرنسية، وربما يعود ذلك إلى ما رشح عن هذه الثورة من شعارات تحريرية ومدونات حقوقية طلائعية غطت وجوهها المخيفة والمرعبة.

كما أن ظهور الثورات الشيوعية القريبة إلينا زمنًا وانكشاف توجهاتها العنفية التسلطية قد ألقى بشناعات الثورة الفرنسية في طي النسيان، خاصة أن النخبة السياسية والفكرية الفرنسية تعودت على إحاطة حدث الثورة بهالة احتفالية صاخبة.

هكذا توارت بشاعات الثورة الفرنسية خلف المجازر الستالينية والحروب الهتلرية وحلت مشاهد دكتاتورية البروليتاريا محل العنف العبثي لجماعة اللامتسرولين وأقرتهم اليعاقبة في مجال الدراسات التاريخية والسياسية.

وفعلًا، فإن القراءة الثاقبة للتجربة الفرنسية سواء في موطنها الأصلي أو في مختلف البلاد التي امتد إليها نفوذها الاستعماري، تكشف لنا عما رافقها من أبعاد تسلطية ثقيلة الوطأة ومن مظاهر التشديد على الدور الطلائعي للدولة في إحداث التحولات السياسية والاجتماعية وفي هندسة البنية الاجتماعية السياسية بصورة فوقية ومتعالية عن مشاغل الناس وحاجياتهم.

ومما يزيد من مخاطر النموذج الفرنسي ويقوي أنيابه الحادة أكثر أن يتم الاستحواذ على هذه الدولة من طرف نخبة لائكية صلبة ومعزولة عن محيطها الاجتماعي، ومقطوعة الصلة بثقافة الناس ومصالحهم، كما هو واقع الحال في الكثير من البلاد العربية التي خضعت لتجربة الاحتلال الفرنسي القاسية، خاصة في بلاد المغرب العربي حيث استحال أمر هذه الدولة إلى ما يشبه آلة حرب دائمة ومفتوحة في مواجهة مجتمع موصوف بالجمود والتخلف.

وفعلًا، إذا كانت اللائكية الفرنسية "الأصلية" مصابة بالكثير من الأعطاب والاختلال التي ما زال الجسم الفرنسي يشكو من تداعياتها إلى اليوم، فإن أخواتها من اللائكيات المستنسخة تبدو عللها أشد وأسقامها أعمق بحكم شدة غربتها عن الناس بما لا يقارن بلائكية النموذج أو الأصل.

ولذا، لم يكن محض مصادفة أن تكون أكثر أنظمة الحكم العربي تخلفا وغلظة في التعامل مع شعوبها تلك التي ورثت التقاليد "الجمهورية الفرنسية".

سيرة ذاتية .... ممدوح الشيخ

عضو اتحاد كتاب مصر.

أولًا: ترجمات في معاجم وموسوعات

** ترجمة في الطبعة الأولى من: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، (مؤسسة البابطين، الكويت).

** ترجمة في الطبعة الأولى من: معجم أدباء مصر، (الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر).

** ترجمة في الطبعة الأولى من: الموسوعة الكبرى للشعراء العرب المعاصرين: 1956، 2006، إعداد وتقديم: فاطمة بوهراكة، المغرب، 2009، برعاية الشيخة أسماء بنت صقر القاسمي.

** ترجمة في الطبعة الأولى من: معجم الأدباء: من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2002، 1424 هــجرية.

ثانيًا، ترجمات من الإنجليزية إلى العربية

** فضاء المقدس لا يعرف الفراغ: تاريخ الإلحاد السوفيتي، فيكتوريا سمولكين، ترجمة وتقديم، الناشر: مركز تكوين للدراسات والأبحاث – السعودية، 2022.

** علم نفس وادي السليكون، كاتي كوك، 2020، (تحت الطبع).

** رأسمالية مصاصي الدماء، المجتمعات المنقسمة والمستقبلات البديلة، باول كينيدي، 2018، (تحت الطبع، مدارات للنشر، مصر).

** الدين والرئاسة الأمريكية، محموعة مؤلفين، 2017، (تحت الطبع).

ثالثًا، مؤلفات منشورة ورقيًا

أولًا: دراسات في الظاهرة الدينية

** المسلمون ومؤامرات الإبادة، مكتبة مدبولي الصغير، مصر، 1994.

** الإسلاميون والعلمانيون من الحوار إلى الحرب

الطبعة الأولى، دار البيارق، الأردن، 1999.

الطبعة الثانية، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن.

** الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة في آتون 11 سبتمبر: مفارقات النشأة ومجازفات التحول، مكتبة مدبولي، مصر، 2005.

** مراجعات الإسلاميين (الجزء الأول)، تأليف بالاشتراك، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الإمارات، سلسلة كتاب المسبار الشهري، العدد السادس والثلاثون، ديسمبر 2009.

** السلفيون من الظل إلى قلب المشهد، دار أخبار اليوم، مصر، 2012.

** دراما محمد رمضان والإرهاب: الملائكة والشياطين والعدالة الناجزة، توزيع: مكتبات أخبار اليوم (مصر)، 2019.

ثانيًا: مؤلفات إبداعية منشورة

** نقوش على قبور الشهداء، ديوان شعر، مركز يافا للدراسات والأبحاث، مصر، 1996.

** الحلم المسروق (ديوان شعر بالعامية)، مركز يافا للدراسات والأبحاث، مصر، 2003.

** الندى والموت (ديوان شعر)، مركز يافا للدراسات والأبحاث، مصر، 2003.

** عاصمة للبيع (مسرحية)، دائرة الثقافة والإعلام بإمارة الشارقة، دولة الإمارات، 2000.

** القاهرة.. بيروت.. باريس (رواية)، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2006.

** الممر إلى السماء، (رواية)، دار لوسيل للنشر، قطر، 2019.

** إن الغريب حزين حيثما كانا: سيرة لم يكتبها موسى ابن ميمون (رواية)، توزيع: مكتبات أخبار اليوم (مصر)، 2019.

** رائحة الضجر، (رواية)، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، 2023.

ثالثًا: مؤلفات أخرى منشورة

** أشهر الأحلام في التاريخ، مكتبة ابن سينا، مصر، 1993.

** التنبؤات والأحلام من الخرافة إلى العلم، دار التضامن، لبنان، 1996.

** ثقافة قبول الآخر، مكتبة الإيمان، مصر، مكتبة جزيرة الورد، مصر، 2007.

** مدخل إلى عالم الظواهر الخارقة، مكتبة بيروت، سلطنة عمان، شركة دلتا، مصر، 2007.

** التجسس التكنولوجي: سرقة الأسرار الاقتصادية والتقنية (دراسة في المجتمع ما بعد الصناعي)، مكتبة بيروت، سلطنة عمان، شركة دلتا، مصر، 2007.

** ثقافة السلام، دار ومكتبة الغد، مصر، 2009.

** عبد الوهاب المسيري: من المادية إلى الإنسانية الإسلامية، سلسلة أعلام الفكر والإصلاح في العالم الإسلامي، رقم 7، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، لبنان، الطبعة الأولى 2008.

** طارق البشري؛ القاضي.. المؤرخ.. المفكر.. وداعية الإصلاح، سلسلة أعلام الفكر والإصلاح في العالم الإسلامي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، لبنان، الطبعة الأولى 2011.

رابعًا: تأليف بالاشتراك

** إيران – مصر: مقاربات مستقبلية، تحرير: توفيق شومان، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، سلسلة الدراسات الإيرانية/ العربية، رقم 1، الطبعة الأولى، 2009.

** يوميات الثورة المصرية، (تحرير: أحمد عبد الحميد)، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 2011.

** الحركات الإسلامية في الوطن العربي، (إشراف: الدكتور عبد الغني عماد)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013.

** السعوديون الشيعة: الفكرة والإشكاليات، مركز صناعة الفكر، السعودية، 2015.

** المجتمع المدني السعودي ؛ الملامح.. والأدوار، مركز صناعة الفكر، السعودية، 2015.

** الليبرالية في السعودية (الفكرة، الممارسات، الرؤى المستقبلية)، مؤسسة الإنتشار العربي (لبنان)، مركز صناعة الفكر للدراسات والبحوث (السعودية)، الطبعة الاولى: 2013.

** الحوار مع الآخر.. المنطلقات والضوابط، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطاع الشئون الثقافية، الكويت، (كتاب مجلة الوعي الإسلامي، الإصدار الرابع)، الكويت، 2006.

خامسًا: أعمال حققها

** ديوان أمير الشعراء أحمد شوقي (الشوقيات)، تحقيق، مكتبة الإيمان، مصر، مكتبة جزيرة الورد، مصر، 2007.

** ديوان الشاعر حافظ إبراهيم، (تحقيق)، مكتبة الإيمان، مصر، مكتبة جزيرة الورد، مصر، 2009.

سادسًا: أعمال أعدها للنشر أو حررها

اكتشف وأعاد نشر رواية: اعترافات حافظ نجيب: مغامرات جريئة مدهشة وقعت في نصف قرن للمغامر المصري حافظ نجيب، وهي الرواية التي اقتبس عنها المسلسل التلفزيوني المصري الشهير فارس بلا جواد. وقد قدم لها وألحق بها دراسة عن حياة مؤلفها.

** اعترافات حافظ نجيب: مغامرات جريئة مدهشة وقعت في نصف قرن (إعداد للنشر).

الطبعة الأولى، 1996، دار الحسام، لبنان، مصر.

الطبعة الثانية، دار الانتشار العربي، بيروت، 2003.

** حرر (بالاشتراك) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، 8 مجلدات، لمؤلفها المفكر العربي الإسلامي المرموق الدكتور عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، مصر، 1998.

** حرر (بالاشتراك) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، لمؤلفها المفكر العربي الإسلامي المرموق الدكتور عبد الوهاب المسيري، نسخة ميسرة ومختصرة (مجلدان)، دار الشروق بمصر بالاشتراك مع مركز زايد للتنسيق والمتابعة بدولة الإمارات، 2004.

** القمة الأمريكية السعودية الأولى: القمة السرية بين الملك عبد العزيز ابن سعود والرئيس روزفلت (البحيرات المرة، 1945)، (تقديم وتحرير ودراسة)، بقلم: الكولونيل: وليم إيدي (أول وزير أمريكي مفوض بالسعودية)، ترجمة: حسن الجزار، مكتبة بيروت، سلطنة عمان، شركة دلتا، مصر، 2008.

** دع القلق وابدأ الحياة، تأليف: ديل كارنيجي، إعداد وتقديم ودراسة، دار الحرم للتراث، مصر، 2009.

** كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس، تأليف: ديل كارنيجي، إعداد وتقديم ودراسة، دار الحرم للتراث، مصر، 2009.

** تربية المرأة والحجاب (ردًا على قاسم أمين)، تأليف: محمد طلعت حرب (باشا)، إعداد وتقديم ودراسة، دار الغد للنشر، مصر، 2009.

** العمانيون في بوروندي، رومونجيه نموذجًا، تأليف: سلطان بن محمد بن حمدان الشرجي، (تحرير وتقديم)، الناشر: مكتبة بيروت (سلطنة عمان)، 2022.

رابعًا، مؤلفات منشورة إليكترونيًا عبر منصات: كوبو بوك (كندا)، وأمازون كيندل وجوجل بلاي (أمريكا)

** جمال البنا: تسويق التنوير بلغة الإثارة والإعلان.

** مقالات عن الهولوكوست (رؤية إسلامية).

** عبد الوهاب المسيري: حياة وأفكار.

** عن التحالف المسيحي اليهودي.

** السيف العربي بين جماليات الفن وضرورات الحرب

** الحرية والثقافة لجون ديوي (تحرير ومراجعة)
** قراءة في كتاب الحرية والثقافة لجون ديوي.
** كتب قرأتها
** مختصر تاريخ التكنولوجيا العسكرية (وعلاقتها بالأمن القومي)
** الإنجلوفونية القادمة: الجذور والملامح
** التفكيكية: من الفلسفة إلى النقد الأدبي
** الديموغرافيا وصراع الهوية: مسلمو أوروبا نموذجاً
** حوار مع القيادي الإخواني الدكتور سيد عبد الستار المليجي
** حوار مع المستشار طارق البشري.
** هوية مصر الإسلامية: بحث عن الذات أم خوف من الآخر؟
** مناف لها تاريخ
** هيكل والإسلاميون
** الإسلاميون والدولة الحديثة.
** التصوف والفن من منظور فلسفة الدين
** الأفريقانية.
** مسلمو أوروبا: إعادة إنتاج المسألة اليهودية.
** أحمد شوقي: حياته وشعره.
** العلم والخرافة والسياسة: بين أوراق نيوتن ورسالة فاسكو دي جاما.
** هكذا ساهم العلم في بناء إسرائيل.
** لغة السيم (من جهود المعاصرين في دراسة اللغة السرية)
** اللوبي الصهيوني: محاولة للفهم.
** قراءة في كتاب: "دولة المنظمة السرية"، لحسن العلوي.
** سلسلة دراسات في دولة التنظيم السري:
1 – دولة التنظيم السري: ملاحظات تمهيدية
2 – تنظيم إرهابي سري اسمه الجمعية الفلسفية المصرية.
** العلمانية أصل الإرهاب والاستبداد الحديث (مختارات مترجمة).
** أحلام أكثر بؤساً من الواقع!: مقالاتي في جريدة "الحياة اللندنية" (1999 - 2014)
** الإسلاميون التقدميون: اليسار الإسلامي التونسي والثورة.
** العصر الجليدي القادم: من التقارير العلمية إلى استوديوهات هوليود.
** جسر لا يؤدي إلى مكان!، مقالاتي في صحيفة المستقبل (اللبنانية) (2009 – 2014).

** بين الدولة العميقة ودولة المنظمة السرية.
** ريحانة النفوس: في أصل الاعتقادات والطقوس، تأليف القس بنيامين شنيدر (1807 -1877)، تقديم وتحرير.
** داعش لايف ستايل ودراسات أخرى.
** فاتيكان جيت: الانتهاكات الجنسية في الكنيسة الكاثوليكية عبر العالم.
** سالم الرحال يتذكر: أفق الأسطورة ... حضيض المأساة.
** قراءة في تقرير صادر من معهد كونراد إديناور عن الدولة.
** قراءة في تقرير صادر من معهد كونراد إديناور عن الجاهزية للصراع.
** مقالاتي في جريدة البيان الإماراتية الجزء الأول مقالات السنوات 1998 – 2002.
** وثيقة أمن قومي معلنة، مقالات منشورة في موقع "مصر العربية".
** What has Islam given to Humankind?, Nick James (Editor), Prof Mohamed M. Hussein (Translator), 2017.

خامسًا، جوائز

** جائزة مؤسسة اقرأ الخيرية، مصر، المسابقة الثقافية للشباب لعام 1991، المركز الثالث في مجال الشعر.
** جائزة مؤسسة اقرأ الخيرية، مصر، المسابقة الثقافية للشباب لعام 1992، المركز الثاني في مجال المسرح عن نص ما زال مخطوطًا.
** جائزة أفضل قصيدة (المركز الثاني) من المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1999، عن قصيدة: "نقوش على قبر شهيدة".
** جائزة الإبداع العربي من: دائرة الثقافة والإعلام بإمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة في مجال المسرح (المركز الثاني) عام 2000، عن مسرحية عاصمة للبيع.
** جائزة أحمد فتحي عامر في مجال الشعر (المركز الثاني) من الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، الدورة الأولى، 2003.
** جائزة أحمد فتحي عامر في مجال الرواية (المركز الثالث) من الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، الدورة الثانية، 2004، عن رواية القاهرة، بيروت، باريس.
** جائزة أفضل قصيدة (المركز الثاني) من نادي جازان الأدبي بالمملكة العربية السعودية في المسابقة الثقافية لعام 1423هجرية، عن قصيدة: "بقصائدي ويقيني".

سادسًا، أعمال نقدية تناولت أعماله

** "ممدوح الشيخ وعماد أو صالح شعاعان من شمس شعر تشرق"، منشور في: "كتابة: رؤى وذات"، صافي ناز كاظم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2003.

** "مقاربات نقدية في شعر ممدوح الشيخ"، تأليف الأساتذة: رمضان أبو غالية، صبري عبد الرحمن، أحمد مرسال، سامح القدوسي، إصدارات نادي الأدب ببيت ثقافة قويسنا، مصر، 2004.
** رسالة ماجستير عن مسرحيته: "عاصمة للبيع" في: جامعة جنت البلجيكية، للمستشرقة البلجيكية ماريكي فان كرايسبليك، 2006. (قيد الترجمة)
القاهرة... بيروت... باريس... لممدوح الشيخ: عندما يحل "الفرنسي" محل "الأمريكي" رمزا للشر - لحوم بشر معلبة في رواية مثيرة... مسيسة دون ضجيج، خالد جلال، موقع ديوان العرب، ٨ يوليو ٢٠٠٦
** القاهـرة.. بيروت.. باريس .. لممدوح الشيخ، لحم بشري طعامًا لحيوانات أليفة، محمد العشري، جريدة النهار اللبنانية، 25 يناير 2007.
** "القاهرة بيروت باريس" لممدوح الشيخ: سرد مختلف.. ..حدث مثير.. ..ورؤية جديدة للذات والآخر، علياء المالكي، موقع دنيا الوطن، 1 مارس 2007.
** تنامي صورة "المدينة" في روايات بيروت، عبد الرحيم العلام، دراسة، مجلة نزوى الفصلية، سلطنة عمان، عدد 77، يناير، 2014.
** بيروت في المرايا الروائيّة العربيّة المُتكسّرة، دكتور نبيل سليمان، جريدة عمان، سلطنة عمان، 28 أكتوبر، 2020.
** "اليهود في الرواية المصرية.. الاندماج والقطيعة"، مصطفى بيومي، دار إنسان للنشر والتوزيع، مصر، 2022.

سابعًا، جرائد ومجلات ومواقع إليكترونية نشرت مقالاته ودراساته:

** دوريات داخل العالم العربي وخارجه:

جريدة المستقبل (اللبنانية)، جريدة البيان (الإماراتية)، جريدة عمان (العمانية)، جريدة الحياة (اللندنية)، مجلة المجلة (اللندنية)، مجلة الجديد (اللندنية)، جريدة العربي الجديد (اللندنية)، مجلة الكلمة (اللندنية)، جريدة الدستور (المصرية)، جريدة الوطن (المصرية)، جريدة الوفد (مصر)، مجلة المحجة (لبنان)، مجلة اتجاهات الأحداث (الإمارات)، مجلة آراء حول الخليج (السعودية)، مجلة كلية الملك خالد العسكرية (السعودية)، المجلة العربية (السعودية)، مجلة فكر وفن (السعودية)، مجلة الوعي الإسلامي (الكويت)، جريدة الفنون (الكويت)، جريدة الاتجاه الآخر (هولندا)، مجلة الشاهد (قبرص)، مجلة رسالة الجهاد (مالطا)، مجلة الرائد (ألمانيا).

مواقع إليكترونية نشرت مقالاته ودراساته:

** موقع ناشري (الكويت)، موقع إسلام أون لاين (قطر)، موقع مصر العربية (مصر)، موقع ذات مصر (مصر)، موقع إضاءات (مصر).

ثامنًا: مساهمات أخرى

** "دولة المنطمة السرـية، فيلم وثائقي، (الفكرة والإعداد والمادة العلمية)، قناة الجزيرة الوثائقية، قطر، 2009.

** أعدَّ وقدَّم برنامج "المحفل"، قناة الحكمة (مصر)، مباشر، (2011).

** أعدَّ وقدَّم برنامج "من قلب الكيان الصـهيوني"، قناة الحكمة (مصرـ)، مباشر، (2011).

** أعدَّ وقدَّم برنامج "ساعة من القاهرة"، قناة الاتجاه (العراق)، مباشر، (2011، 2013).

** أعدَّ وقدَّم برنامج "إسلاميون"، قناة فلسطين اليوم (لبنان)، مسجل، (2013 ، 2015).

** قُـدمت ورقته الفكرية: "ماذا أعطى الإسلام للبشرية؟" في أول مؤتمرات "اللجنة العالمية لنَصرة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم"، (لندن، نوفمبر 2002).

** مشرف على تحرير الصفحة الدينية بجريدة الدستور، مصر (2005، 2008).

** عرضت فرقة مسرح دبي الأهلي الإماراتية مسرحية: "مملكة للبيع"، (إعداد وإخراج: عبد الله صالح) المقتبسة عن مسرحيته: "عاصمة للبيع"، دبي، يوليو 2009.

** شارك في العديد من المؤتمرات العلمية والثقافية في: مصر، لبنان، ليبيا، الإمارات، والعراق.

** شارك في عشرات البرامج التلفزيونية والإذاعية، الثقافية والسياسية في مختلف القنوات الفضائية المصرية والعربية.

تاريخ الميلاد : 14 / 8 / 1967

الجنسية : مصري

للتواصل:

E.Mail: mmshikh@hotmail.com